

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

تراثنا

عمان في فجر الإسلام

تأليف

الأستاذة الدكتورة
سيدة اسماعيل كاشف

الطبعة الثالثة

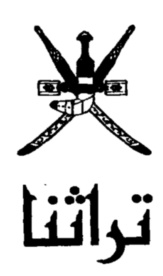
فبراير ١٩٨٩

العدد الأول



سلطنة عُمان

وزارة التراث القومي



تراثنا



عُمان في فجر الإسلام

تأليف

الأستاذة الدكتورة

سيِّدة اسماعيل كاشف

أستاذ التاريخ الإسلامي

جامعة عين شمس - القاهرة

الطبعة الثالثة

١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـم

بسم اللّه الرحمن الرحيم استفتح هذه السلسلة من الكتيبات الدورية : خطة ثقافية ، نستهدف منها تقديم الغذاء الفكري ، والزاد الروحي للعقل العربي وللفكر العماني .

وإنه لمن دواعي الغبطة والسرور أن نجد في أمجاد تاريخنا الطويل ، وفي حضارتنا الأصيلة معيناً فياضاً نستمد منه المواد العديدة والموضوعات المختلفة في كثير من ألوان العلوم والآداب والفنون التي تنتظمها هذه الكتيبات ونعرضها على القارىء بأسلوب سهل يسير وبصورة شائقة تبعث البهجة في النفوس والانشراح في الصدور ، إلى جانب موضوعات أخرى تنضم بعضها إلى بعض فتغطي حاجة الفكر من المعارف .

وإنا لنسأل اللّه العلي القدير أن يوفقنا في كل أعمالنا ،

وأن يسدد خطانا وأن يلهمنا الرشاد ، وأن يحفظ عُمان ويوفقها إلى ما فيه خير أبنائها وخير الانسانية في ظل حضرة صاحب العظمة السلطان قابوس بن سعيد ـ حفظه الله ـ إنه سميع مجيب الدعاء .

فيصل بن علي بن فيصل

وزير التراث القومي والثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين
وعلى عباده الذين اصطفى

مقدمة الكتاب

حاولنا في هذا الكتاب الموجز تسليط الأضواء على عُمان في فجر الاسلام ، أي في فترة لا تتجاوز القرون الثلاثة الأولى للهجرة . وقد بينا كيف دخل الاسلام في عُمان زمن الرسول ﷺ ، وكيف أسلم العمانيون وحسُن إسلامهم ، ثم كيف واجهوا المناوئين لدولة الاسلام التي بناها الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكيف قاوموا المرتدين الذين حاربوا الدين القويم الذي بشّر به خاتم الأنبياء وسيد المرسلين .

والحق ان التاريخ يؤكد أن شعب عُمان منذ أقدم العصور شعب سحضر مثقف واع ، ولهذا فإنهم حين أسلموا استوعبوا جوهر الدين وفهموه فهماً حسناً . وبالرغم من بعد

عُمان عن الحجاز ـ مبهط الوحي وموطن الرسول عليه الصلاة والسلام ـ وبالرغم من منعة عُمان ، وبالـرغم من عدد العمانيين وعتادهم ، فإنه لم يكن لهم مصلحة في القضاء على الدين الاسلامي كما فعلت قريش بادىء ذي بدء خوفاً على نفوذها وسيطرتها على الكعبة .

وقد بيّنا كيف اشترك العمانيون في الفتوحات الاسلامية الأولى برغم تجاهل معظم المصادر لهذا الدور العماني الرائع وخاصة في الجبهة الشرقية والجنوبية .

وقد بيّنا في إيجاز كيف كانت عُمان خلية من النشاط العلمي والفقهي والادبي ، كما أوضحنا مدى ارتباطها بصفة خاصة بالبصرة منذ أن اختطت أيام عمر بن الخطاب ، حتى غدت البصرة عمانية بسكانها وبعلمائها العمانيين . كذلك تحدثنا عن اباضية عمان وحاولنا القاء الضوء على المذهب الأباضي الذي فهمه معظم الكتاب القدماء والحديثين فهما خاطئا لعدم رجوعهم الى المصادر الأباضية بالدرجة الأولى ، ولأن الحكام الأمويين ومن بعدهم العباسيين قد نجحوا الى حد كبير في اخفاء تراثهم العلمي ردا على موقف الأباضية منهم في الناحيتين الدينية والسياسية . كذلك تحدثنا عن دور اباضية عمان الديني والعلمي العظيم فضلا عن جهودهم المضنية في سبيل قيام الامامة الصالحة التي تستند على القرآن الكريم

والسنة الشريفة والاجماع . ونجح الأباضية في إقامة الامامة في عمان وفي الاحتفاظ باستقلال بلادهم بعد عصر الخلفاء الراشدين إلا في الأوقات التي سادت فيها ظروف معينة . كما نجحوا في إقامة مذهبهم ، وفي إقامة الامامة العادلة ، في فترات قصرت أو طالت وذلك في الحجاز وحضرموت واليمن ، وشمال افريقية ، وشرق أفريقية .

وإذ نتقدم بهذا الكتاب المتواضع عن عُمان في فجر الاسلام نسأل الله تعالى أن تستمد عُمان من ماضيها المجيد القوة والعزة والمجد ، وأن تساهم في مختلف نواحي الحضارة الاسلامية مساهمة فعالة تليق بماضيها التليد ، وبتاريخها الزاهر على مر العصور .

ولا يفوتني أن أتوجه بشكري الخالص وتقديري العميق إلى صاحب السمو السيد فيصل بن علي بن فيصل وزير التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان ، الذي اتاح لي فرصة التقدم بالكتاب الأول في «سلسلة تراثنا» . حفظه الله ووفقه في نشر التراث العماني العظيم في ظل ورعاية حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ـ حفظه الله ـ .

ذو الحجة ١٣٩٩ هـ نوفمبر ١٩٧٩م

دكتورة

سيدة إسماعيل كاشف

جغرافية عُمان وأثرها على تاريخها

يرجع تاريخ عمان إلى آلاف السنين . وعُمان شبه جزيرة جبلية في شرقي شبه الجزيرة العربية . وكان الجغرافيون القدماء مثال ديو دور الصقلي ، وسترابون ، وبطليموس ، يقسمون بلاد العرب إلى ثلاثة أقسام رئيسيـة : العرب الصخرية ، والعرب القفرة ، والعرب السعيدة . وكانت عمان تدخل ضمن بلاد العرب السعيدة ، لكن في العصور الوسطى كانت هذه التسمية تطلق خطأ على اليمن فقط . أما العرب انفسهم فكانوا يقسمون شبه جزيرتهم إلى خمسة اقسام : تهامة والحجاز ونجد واليمن والعروض . وحسب تقسيم العرب تقع عمان والبحرين واليمامة في العروض ، وسمى عروضا لاعتراضه بين اليمن ونجد والعراق .

وتتصل عمان براً ببقية شبه الجزيرة العربية عن طريق السهل الساحلي أو عن طريق الوديان . كذلك تتصل عمان شمالا بالعراق والهلال الخصيب ، ولم يكن يفصلها عن العراق سوى البحرين وكان سكان وادي الرافدين ، أو العراق ، يجلبون النحاس من عمان منذ عصور ما قبل التاريخ ، وظلوا يجلبونه منها في العصور التاريخية القديمة . وجاء ذكر عمان في

النقوش المسمارية باسم «مجان» أو «مغان» ومما يؤيد أن «مجان» التي يرد ذكرها في النقوش المسمارية هي إقليم عمان ، أن هذه النقوش تصف «مجان» بانها جبل النحاس . والمعروف أن النحاس لا يزال موجودا في الجبل الأخضر في عمان وأن نحاس هذا الاقليم يحتوي على كمية من القصدير مثل الذي كان يجلبه السومريون والاكديون إلى وادي الرافدين ، وهو في ذلك يخالف النحاس الموجود في إيران وآسيا الصغرى وشبه جزيرة سيناء وجزيرة قبرص .

والراجح أن بلاد الرافدين كانت تجلب من شرقي بلاد العرب ولا سيما إقليم «مجان» أنواعا من الحجر التي كانت تستخدم في صناعة التماثيل والانصاب ، ولا سيما حجر الأوبسيديان البركاني وحجر الديوريت .

وتحيط البحار والخلجان بعمان شمالا وشرقا وجنوبا ، فعمان تطل على الخليج العربي ثم خليج عمان ، ثم بحر عمان وبحر العرب وهما امتداد للمحيط الهندي . ولهذا نبغ في عمان منذ القدم المعلمون المهرة والملاحون الحاذقون . ويروي البلاذري ان عتبة بن غزوان حين فتح الأُبُلَّة كتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه بذلك ويخبره أن الأبلة فرضة البحرين وعمان والهند والصين (١) .

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٢٤٩ (طبعة القاهرة ١٣١٩هـ ـ ١٩٠١م)

ويفضل موقع عمان الجغرافي ، ويفضل نشاط أهلها نشأت الحضارة العمانية وازدهرت وترعرعت . وتطلب هذا الموقع الجغرافي من ناحية اخرى يقظة العمانيين والسهر لحمايتها من أطماع الطامعين .

القبائل العربية في عمان

تذكر الروايات التاريخية أن عمان وقعت تحت حكم الأحباش في القرن السادس الميلادي . والمعروف أن الاحباش غزوا بلاد اليمن ايضا بتحريض من حليفهم امبراطور الروم وذلك للسيطرة على الطرق التجارية ، وللقضاء على تجارة منافسيهم الفرس ، فضلا عن جعل السيادة للدين المسيحي [1] . وظل الأحباش يحكمون في اليمن وفي عمان ، لكن سوء حكمهم جعل العرب يستنجدون بالروم ، ثم بالفرس في عهد كسرى أنو شروان (٥٣١ ـ ٥٧٨م) . واستطاع الفرس بمعاونة أهل البلاد القضاء على الأحباش في اليمن ثم في عمان .

---

(١) انظر : ابن هشام : التيجان في ملوك حمير ص ٣٠١ (طبعة حيدر أباد ١٣٤٧هـ)
Palgrave : Narrative of a year's journey through Central and Eastern Arabia. Vol I. p. 255 (London 1865).

ولعل طرد الفرس من عمان كان منذ سنة ٥٩٧م[١] .

وعلى أثر انهيار سد مأرب تفرقت القبائل والبطون اليمنية في أنحاء شبه الجزيرة وفي أطرافها . وكان ممن خرج إلى عمان من الأزد ، مالك بن فهم ، فيمن أطاعه من ولده وقومه وعشيرته ، أما ولده جذيمة الأبرش بن مالك فقد اعتزل عنهم بمن سار معه من الأزد إلى أرض العراق . ويروى أن مالك بن فهم استقر أولا في السراة في الحجاز ، وما لبث أن اتجه إلى عمان . وحين توسط الطريق حنت إبله إلى مراعيها وأقبلت إلى السراة ، فكان مما قاله مالك في ذلك :

ستغنيك عن أرض الحجاز مشارب
رحـــاب النـــواحي واضحـــات المسالك[٢]

وتروي الروايات التاريخية أن مالك بن فهم اضطر لدخول حرب شرسة مع عامل الفرس حينذاك على عمان وذلك ليستخلص الأرض العربية من أيدي محتليها . وعمد الفرس إلى إرهاب العرب بوضع عدد من الفيلة في مقدمة جيشهم ، لكن العرب استطاعوا انتزاع عمان من الفرس .

---

(١) راجع : الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١١٦ ـ ١١٧ (طبعة القاهرة ١٣٢٦هـ)

Firouz (Kajare) : Le Sultanat p'Omen et la puestion de Kacate. pp. 27-28 (Etude d'Histoire Diplomatipue et de Droit Internationale. Paris 1914).

(٢) السالمي (الشيخ أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي : تحفة الاعيان في سيرة أهل عمان . الجزء الاول . ص ١٤ (الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٣٢هـ) .

وبعد انتصار مالك بن فهم على الفرس أخذت قبائل الأزد تتوافد على عمان .

ونظم شعراء عمان الأشعار الكثيرة في استقرار مالك بن فهم وولده في عمان وفي انتصاره على الفرس .

ولم يكن الأزد اليمانية هم سكان عمان فقط ، بل سكنها بطون وقبائل من العرب العدنانية من بني سعد وبني عبدالقيس وبني تميم وبني شيبان وبني بكر وبني عبس ، كذلك سكنها أخلاط من الأعراب البدو ، وسكنها قوم من الفرس ، فضلا عن أخلاط من الناس .

اسـم عُمـان

وقيل إن الأزد سمت «عُمان» عمانا لأن منازلها كانت على واد لهم بمأرب يقال له عمان فشبهوها به . أما العجم فكانت تسميها مزونا ، وفي ذلك قيل :

إن كسرى سمى عمان مزونا
ومزون يا صاح خير بلاد
بلدة ذات مزرع ونخيل
ومراع ومشرب غير صاد [1]

(١) الأزكوي (سرحان بن سعيد) كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة . ص ٣٢ (نسخة خطية بالمكتبة التيمورية رقم ٢٥٨٢ تاريخ) .

وقيل سميت عمان بعمان بن إبراهيم الخليل عليه السلام ، وقيل سميت بعمان بن سبأ بن يفثان بن ابراهيم خليل الرحمن لأنه بنى مدينة عمان[1] .

الشعوب العربية البائدة في عمان

وليس من شك في أنه سكن عمان قبل العرب القحطانية اليمنية والعرب العدنانية الشمالية ، شعوب عربية قديمة من الشعوب البائدة ، مثل عاد التي كانت تسكن في الأحقاف بين عمان وحضرموت ونبيها سيدنا هود ، وقد ورد ذكر عاد وثمود في القرآن الكريم في آيات كثيرة منها ماجاء في سورة الشعراء والاعراف والمؤمنون ، ومن يتامل في الآيات القرآنية الكريمة يمكنه أن يستنتج أن هؤلاء الأقوام كانوا متحضرين مترفين .

وقد يكون من سكان عمان القدماء من العرب البائدة طسم وجديس التي سكنت في اليمامة شرقي نجد .

ديانة عمان قبل الاسلام

قبل أن يشرق نور الاسلام في شبه الجزيرة العربية وفي العالم أجمع ، كانت عمان ملتقى لديانات شبه الجزيرة العربية

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان . ج٦ص ٢١٥ (الطبعة الأولى ـ القاهرة ١٣٢٤هـ ، ١٩٠٦م) .

والعالم الخارجي بحكم موقعها في شبه الجزيرة العربية ، وبحكم موقعها الجغرافي وصلتها بالعالم الخارجي .

ونجد في معاجم اللغة العربية ، وفي الأدب العربي من شعر وقصص أخبارا عن الوثنية في بلاد العرب في العصر الجاهلي ، وكثير منها يرجع الى المؤرخ هشام بن محمد الكلبي (المتوفى سنة ٢٠٤هـ /٨١٩م) والذي ألف كتابا عن الأصنام جمع فيه معظم ما كان معروفا عنها في عصره ، ولكننا لا نجد في هذا الكتاب أي شرح حقيقي لخواص تلك الآلهة الوثنية .

وتدل الأسماء التي كانت منتشرة في العصر الجاهلي في بعض الأحيان على أسماء آلهة عرفها العرب في جاهليتهم . ومن تلك الاسماء عبدودّ وعبدشمس وعبدالعزى وعبد قيس وامرؤ القيس ووهب اللات وتميم اللات وزيد اللات وعبد عوف .

وفي القرآن الكريم إشارات الى بعض آلهة الجاهلية . ومن ذلك ﴿أفرأيتمُ اللاّتَ والعُزَّى * ومَنَاةَ الثالثةَ الأخرىَ * ألكُمُ الذَّكرُ ولَهُ الأنثَى * تلك إذاً قِسْمةٌ ضِيزىَ . إن هي إلاَّ أسماءٌ سَمَّيتموُها أنتمُ وآباؤكم ما أنزل اللّهُ بها من سُلطَانٍ إنْ يتبعونَ إلا الظنَّ وما تَهْوَى الأنفس ولقدْ جاءهُم من ربّهم الهُدَى﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم

---

(١) سورة النجم الايات ١٩ ـ ٢٣ .

يزده ماله وولده الا خسارا * ومكروا مكرا كبارا * وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾ [1] .

وكان العرب كغيرهم من الشعوب السامية القديمة قوما للدين عندهم منزلة كبيرة . والواقع ان الساميين القدماء كانوا شعب الله وشعب الديانات ، والعالم مدين لهم بالديانات الثلاث الكبرى ، ومع ذلك فيبدو أن البدو من العرب لم يكن لديهم شعور ديني عميق وأنهم كانوا يسيرون في ممارسة الطقوس الدينية وفقا للتقاليد والعقائد الموروثة ، وطبيعي أن ديانة البدو كانت ساذجة وبدائية ولم تصل إلى ما عرفه العرب المتحضرون ـ مثل عرب اليمن وعرب عمان ـ من المظاهر الفلكية والطقوس الدينية والهياكل وما إلى ذلك مما كان نتيجة للبيئة الحضرية والاستقرار في المجتمع . وكان الاستقرار والتقدم في مضمار الحضارة هما السبب في عبادة الأجرام السماوية كالقمر والشمس والنجوم . وقد جاء في القرآن الكريم ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾ [2] وكان من معبودات العرب في الجاهلية النجم عطارد . وهو المشار إليه في

---

(1) سورة نوح الأيات ٢١ ـ ٢٣ .

(2) سورة فصلت لآية ٤٧ .

سورة الطارق ﴿والسماء والطارق * وما أدراك ما الطارق * النجم الثاقب﴾ [1] والمشار إليه في سورة النجم ﴿والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ [2] .

وكانت الظاهرة الأساسية في المعتقدات الدينية عند البدو إيمانهم بوجود أرواح في بعض الأجرام السماوية كالقمر والشمس والنجوم ، وفي بعض مظاهر الطبيعة كالأمطار والرياح ، وفي بعض العناصر الجامدة كالاشجار والحجارة . وكانت عبادة هذه الأرواح تقصد لذاتها أولا ، ثم امتد تفكير العرب في الجاهلية إلى وجود قوة إلهية أعلى ، ولكنهم اعتبروا تلك الأرواح والمعبودات واسطة للاله الأكبر .

وعرفت عُمان عبادة النار ، أو المجوسية ، وذلك عن طريق اتصالها البحري والتجاري ببلاد الفرس .

أما اليهودية فقد دخلت شبه الجزيرة العربية قبل الديانة المسيحية والراجح أن اليهود دخلوا بلاد العرب من فلسطين وخاصة منذ سنة ٧٠ بعد الميلاد وهي السنة التي خربت فيها بيت المقدس على يد تيتوس ابن الامبراطور الروماني فسبازيان . ولم يكن يهود اليمن وعُمان ويثرب وسائر أنحاء شبه الجزيرة العربية هم الذين هاجروا اليها من خارج شبه الجزيرة

---

(١) سورة الطارق : الآيات ١ ـ ٣ .

(٢) سورة النجم : الآيات ١ ـ ٢ .

فقط ، وإنما اعتنق فريق من العرب تلك الديانات السماوية .

والمعروف ان نفوذ اليهودية قوي في اليمن حتى أقبل على اعتناقها ذو نواس آخر ملوك حمير في اليمن في القرن السادس الميلادي وتحمس يوسف ذو نواس لليهودية حتى قيل إنه اضطهد رعاياه المسيحيين انتقاما لاضطهاد بيزنطة المسيحية لليهود . وقيل انه انتهز فرصة أتيحت له للفتك بالمسيحيين في نجران ، وخيرهم بين اليهودية والقتل ، واختاروا القتل فحفر لهم اخدودا كبيرا واحرقهم . والى ذلك تشير الآيات الكريمة من القرآن الكريم : ﴿قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ (١) .

أما المسيحية فقد دخلت إلى بلاد اليمن وعمان وغيرهما من أنحاء شبه الجزيرة العربية منذ القرون المسيحية الأولى على يد مبعوثين ومبشرين من الشام أو على يد الفارين من اضطهاد الاباطرة الرومان والبيزنطيين للمسيحين . والراجح أن اتساع نفوذ المسيحية في عُمان واليمن كان له صلة كبيرة بالمنافسة التجارية بين الروم والفرس والعرب .

وعملت بيزنطة على إدخال المسيحية عن طريق

---

(١) سورة البروج ، الآيات ٤ ـ ٨ .

الأحباش ، كما ساعد الفرس على نشر اليهودية لتعرقل النفوذ الأدبي والديني الذي يناله الروم من نشر المسيحية . ونسمع عن بعثة مسيحية أرسلها امبراطور الروم بعد منتصف القرن الرابع الميلادي . كما بنيت الكنائس بعد ذلك في عدن ونجران وظفار وحضرموت ومأرب وغيرها .

والحق ان عمان كانت ملتقى لجميع الأديان التي تحدثنا عنها حتى بزغ نور الاسلام . ولكننا نلاحظ أنه كان على رأس المعبودات المختلفة في الجاهلية «الله» ولم يكن الواحد الاحد فقد كانت إلى جانبه معبودات اخرى . وفي القرآن الكريم آيات تشهد بعلو مكانة الله مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ [1] وقال تعالى : ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلاَّ كُلُّ ختار كفور [2] .



(١) سورة لقمان : لآية ٢٥ .
(٢) سورة لقمان : آية ٣٢ .

الدعوة إلى الاسلام في عُمان

بدأ الرسول عليه الصلاة والسلام يبشر بالاسلام في مكة ، وتحمل هو ومَنْ آمن بالرسالة أنواعـا مختلفة من الاضطهاد . ثم مَنّ الله على المسلمين بالهجرة إلى المدينة المنورة ، وحدث ما حدث من غزوات وحروب بين الرسول عليه صلوات الله وسلامه ومَنْ آمن برسالته ، وبين قريش ومَنْ حالفها . وكان من نتائج صلح الحديبية الذي عقد بين المسلمين وبين قريش في السنة السادسة للهجرة أن أصبح الاتصال مع بقية شبه الجزيرة العربية أمرا ميسورا ، إذ آمن الناس كلهم بعضهم بعضا واختلط المسلمون مع غيرهم وجادلوهم حتى اعتنق كثيرون الاسلام . ويذكر المؤرخون القدماء مثل الطبري أنه أسلم في السنتين اللتين تلتا هذا الصلح عدد من الناس أكبر من عدد المسلمين قبل الصلح .

كذلك تفرغ الرسول عليه الصلاة والسلام لدعوة ملوك وأمراء عصره إلى الاسلام سواء في داخل شبه الجزيرة العربية أو

في خارجها لأنه بعث هدى ورحمة للناس . قال الله تعالى : ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (١) ؛ وقال الله تعالى : ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين * ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ (٢) ؛ وقال تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (٣) ؛ وقال تعالى : ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ (٤) ؛ وقال الله تعالى : ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا﴾ (٥) .

وقد أمر الرسول عليه الصلاة والسلام فصنع له خاتم من فضة نقشت عليه «محمد رسول الله» وذلك حتى يختم رسائله .

وحين ظهر الاسلام كان يحكم عُمان بنو الجلندي ، وهم ملوك عمان بعد أولاد مالك بن فهم على رأى ، أو من ولد مالك بن فهم الأزدي على رأي آخر . وأدرك الاسلام ملكا عُمان عبد وجيفر (٦) ابنا الجلندي واليهما كتب الرسول عليه

---

(١) سورة النحل آية ٨٩ .

(٢) سورة ص آية ٨٧ و٨٨ .

(٣) سورة سبأ آية ٢٨ .

(٤) سورة الفرقان آية ١ .

(٥) سورة الأعراف آية ١٥٨ .

(٦) لم يختلف المؤرخون والكتاب في اسم جيفر أما عبد فقد ورد أحيانا (عباد) كما في تاريخ اليعقوبي ، وكتبه البلاذري في فتوح البلدان وكتبه ابن هشام في سيرة الرسول عليه السلاة والسلام وكتب أيضا في بعض المصادر عياذ .

الصلاة والسلام يدعوهما إلى الاسلام .

واختلفت الروايات التاريخية في تاريخ دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام الى ملكي عمان للدخول في الدين الاسلامي . فيذكر ابن هشام (١) أن الرسول ﷺ أرسل في السنة السادسة للهجرة الكتب يدعو إلى الاسلام ، وذلك إلى الملوك والأمراء ومن بينهم جيفر وعباد ابني الجلندي ، اما البلاذري (٢) فيذكر أنه في سنة ثمان للهجرة (بعث رسول الله ﷺ ابا زيد الانصاري احد الخزرج ، وهو أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ . . وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى عبيد وجيفر ابني الجلندي بكتاب منه يدعوهما فيه إلى الاسلام وقال : إن أجاب القوم إلى شهادة الحق وأطاعوا الله ورسوله فعمرو الأمير ، وأبو زيد على الصلاة واخذ الاسلام على الناس وتعليمهم القرآن والسنن . فلما قدم أبو زيد وعمرو عُمان ، وجدا عبيدا وجيفرا بصحار على ساحل البحر فأوصلا كتاب النبي ﷺ اليهما فأسلما ودعوا العرب هناك إلى الاسلام ، فأجابوا إليه ورغبوا فيه فلم يزل عمرو وأبو زيد بعُمان حتى قبض النبي ﷺ ، ويقال إن أبا زيد قدم المدينة قبل ذلك) .

وفي رواية اخرى للبلاذري أن رسول الله ﷺ وجه أبا

---

(١) ابن هشام : كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ج ٤ ص ٢٧٩ (طبعة القاهرة ١٣٥٦ هـ) .

(٢) فتوح البلدان : ص ٨٣ (الطبعة الأولى ـ القاهرة ١٣١٩ هـ / ١٩٠١م) .

زيد بكتابه إلى عبيد وجيفر ابني الجلندي الأزديين في سنة ٦ هـ ، ووجه عمرا في سنة ٨ هـ بعد اسلامه بقليل [١] .

أما ابن سعد صاحب الطبقات الكبرى ، واليعقوبي ، والطبري ، وغيرهم من المؤرخين القدامى فيجمعون على أن كتاب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ملكي عمان كان في السنة الثامنة للهجرة [٢] .

استجابة ملكي عُمان لدعوة الرسول ﷺ

وتتفق الروايات التاريخية كلها على أن ملكي عمان استجابا لدعوة الرسول عليه افضل الصلوات والسلام ، وأنهما قاما بدعوة العمانيين إلى الاسلام : وذكر المؤرخون والكتاب القدماء بعض التفصيلات عن مقابلة عمرو بن العاص لعبد وجيفر ابني الجلندي . من ذلك استفسار ملكي عمان عن الاسلام وجوهر هذا الدين الحنيف فكانت إجابة عمرو بن العاص بأن (يعبد الناس الله والا يشركوا به شيئا وان يشهدوا أن محمدا عبده ورسوله . .) .

وفي بعض الروايات التاريخية أن جيفرا سأل عن موقف

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٨٤ .

(٢) راجع : ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٧ (طبعة القاهرة ١٣٥٨ هـ) وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٦٢ (طبعة النجف الأشرف ١٣٥٨هـ) ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٠٣ (الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية) .

قريش من الدعوة فأجابه عمرو بن العاص : (تبعوه إما راغب في الدين ، واما راهب مقهور بالسيف) واما عن سائر الناس فقد أجاب عمرو بن العاص : (قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا في ضلال مبين . .) .

وبالرغم من سرعة استجابة ملكي عمان لدعوة الرسول الكريم الى الاسلام ، فاننا نلمس من الروايات التاريخية ان عبد بن الجلندي كان أسبق من أخيه جيفر الى تقبل الدعوة ، ذلك لأن جيفرا فكر لبضعة أيام معدودة في مصير ملكه إذا هو أسلم ، وخاصة أن جيفرا كان مقدما في الملك على أخيه عبد . كذلك نتبين من الروايات التاريخية ان جيفرا كان واثقا من منعة بلاده وقوة عتادها فضلا عن بعد الشقة بينها وبين الحجاز ، ولهذا فإن إسلامه هو واخيه لم يكن عن ضعف أو خوف أو دعة . وفي بعض الروايات التي تفصح عن تفكير جيفر في ملكه ، وثقته بقوة بلاده وذلك قبل إعلان إسلامه قوله لعمرو بن العاص رسول النبي ﷺ اليه : (. . . إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما في يدي ، وهو لا تبلغ خيله هنا ، وإن بلغت خيله ألفت ـ أي وجدت ـ قتالا ليس كقتال من لاقى . .) .

والحق أن الروايات التاريخية تبين ان عبد بن الجلندي لم يتردد منذ اللحظة التي قابل فيها عمرو بن العاص في الدخول

في الاسلام ، اما اخوه جيفر فسرعان ما أدرك أن الاسلام لا يحول بينه وبين ملكه .

وتؤكد الروايات التاريخية ان عبد وجيفر ابني الجلندي ظلا في ملكهما ، ولعل استقلالهما كان استقلالا في ظل حكومة الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة ، والحق ان الرسول عليه الصلاة والسلام حرص على الدعوة الى الاسلام ، وعلى إرسال البعوث لتعليم الناس القرآن والسنن ، ولجمع الزكاة من المسلمين وذلك لتنفيذ ركن من أركان الدين من ناحية ، ولتأمين نفقات الدولة الاسلامية من ناحية اخرى ، ولمساعدة الفقراء من ناحية ثالثة .

وقد شهد عمرو بن العاص ، رسول النبي الى ابني الجلندي ، بحسن اسلامهما ، وبتعاونهما مع رسول النبي ويعملهما على توطيد اركان الدين في عمان . فكان مما قاله عمرو بن العاص عن عبد وجيفر ابني الجلندي : (فأجاب إلى الاسلام هو وأخوه جميعا ، وصدقا بالنبي ﷺ وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا لي عونا على من خالفني ، فاخذت الصدقة من أغنيائهم فرددتها في فقرائهم ، فلم أزل مقيما فيهم حتى بلغنا وفاة رسول الله ﷺ)[1] .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٧ .

وفود أزد عُمان

دخل الاسلام في عمان منذ ان دخل عبد وجيفر ابنا الجنلدي في الدين الحنيف ، بين السنة السادسة والثامنة للهجرة النبوية ، وفي الوقت نفسه نسمع أن وفادات تتابعت على رسول الله ﷺ قبل ذلك ، تعلن إسلامها منذ السنة الخامسة للهجرة [1] ولم يتخلف أزد عمان عن الوفود فتتابعت وفودهم ، وتذكر كتب السيرة أن وفدا من أزد عمان فيهم أسد بن يبرح الطاحي لقوا رسول الله ﷺ فسألوه أن يبعث معهم رجلا يقيم أمرهم ، فقال مُخْرَبة العبدي ، واسمه مُدْرِك بن خُوط ، ابعثني إليهم ، فإن لهم عليّ منّة أسروني يوم جنوب فمنوا عليّ ، فوجهه معهم إلى عمان . وقدم بعد هذا الوفد سلمة بن عياذ الأزدي في ناس من قومه فسأل رسول الله ﷺ عما يعبد وما يدعو إليه ، فأخبره رسول الله ﷺ فقال : ادع الله أن يجمع كلمتنا وألفتنا فدعا لهم ، واسلم سلمة ومن معه [2] .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١١٤ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٢ ص ١١٤-١١٥ .

وفي رواية من روايات السيرة أن رسول الله ﷺ بعث إلى أهل عمان العلاء بن الحضرمي ليعلمهم شرائع الاسلام ويصدق أموالهم [1] .



(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١١٤ .

أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم
في فضل إسلام أهل عمان

وقد دون الرواة أحاديث عن سيد الخلق عليه الصلاة السلام في فضل إسلام أهل عُمان ، فقد روى أن الرسول ﷺ قال : «بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء من أمتي قالوا : ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : الذين يعملون بكتاب الله حين يترك ، ويتمسكون بحبل الاسلام حين يقطع» قال محمد بن أحمد : الغرباء أهل عمان من سره أن ينظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ فلينظر الى الصلحاء من أهل عمان[1] .

وروى أحمد من طريق أبي لبيد قال : خرج رجل منا يقال له بيرح بن أسد فرآه عمر فقال : ممن أنت ؟ قال : من أهل عُمان . فأدخله على أبي بكر فقال : هذا من أهل الأرض التي سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إني لأعلم أرضا يقال لها عُمان ينضح بناحيتها البحر ، لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم ولا

(١) انظر . السالمي : تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان ج ١ ص ٧ .

حجر» وعند مسلم من حديث أبي برزة قال : بعث رسول الله ﷺ رجلا إلى قوم فسبوه وضربوه ، فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال : «لو أهل عمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك» .

وفي حديث مازن بن غضوبة قال قلت : يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ، ادع الله تعالى لأهل عمان ! ، فقال : اللهم اهدهم وأثبهم ، فقلت : زدني يا رسول الله : فقال : اللهم ارزقهم العفاف والكفاف والرضا بما قدرت لهم . قلت يا رسول الله : البحر ينضح بجانبنا ادع الله في ميرتنا وخفنا وظلفنا ! قال : اللهم وسع عليهم في ميرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم ! قلت : زدني ، قال : اللهم لا تسلط عليهم عدوا من غيرهم !! قل يا مازن آمين ! فإن آمين يستجاب عنده الدعاء . قال : قلت آمين ! قال : فلما كان في العام القابل وفدت على رسول الله ﷺ وآله فقلت : يا المبارك ابن المباركين الطيب ابن الطيبين قد هدى الله قوما من أهل عُمان ومنّ عليهم بدينك ، وقد أخصبت عُمان خصبا هنبا وكثرت الأرباح والصيد بها . فقال عليه السلام : ديني دين الاسلام سيزيد الله أهل عُمان خصبا وصيدا فطوبى لمن آمن بي ورآني ، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني ولم ير من رآني ، وإن الله سيزيد أهل عمان إسلاما[1] .

---

(١) انظر السالمي : تحفة الأعيان وسيرة أهل عمان ج ١ ص ٧-٨ .

عمرو بن العاص وأهل عُمان

أما عمرو بن العاص ، حامل دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ملكي عمان ، وصاحب صدقاتها ، وعامل الرسول عليها ، فقد ظل فيها قرابة ثلاث سنوات وغادرها بعد أن وصله نبأ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وحين غادر عمرو بن العاص عمان كان مطمئنا إلى حسن إسلام العمانيين ، وكان يتأهب ليكون في خدمة الاسلام في مواقع اخرى كانت تتطلب خدماته وخدمات رجال الاسلام . والمعروف أن عمرو بن العاص شارك بعد ذلك في القضاء على حركة الردة ، ثم كان أحد القواد الأربعة الذين أرسلهم أبو بكر الصديق لفتح بلاد الشام ، وبعدها كان قائد فتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب .

وحين أراد عمرو بن العاص العودة إلى المدينة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام كان من كرم العمانيين أن أصروا على أن يصحبه وفد منهم وعلى رأسه عبد بن الجلندي ملك

عمان . فقدموا بعمرو بن العاص على أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ . ولما دخلوا على الخليفة قام سارف بن ظالم ، أحد اعضاء الوفد ، وقال : (يا خليفة رسول الله ﷺ ويا معاشر قريش هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا وديعة لرسول الله ﷺ فقد برئنا منها إليكم) فقال ابو بكر : جزاكم الله خيرا ! واثنى عليهم المسلمون خيرا ، وقام الخطباء بالثناء عليهم والمدح فقالوا : كفاكم معاشر الأزد قول رسول الله ﷺ وثناؤه عليكم . أما عمرو بن العاص فلم يدع شيئا من المدح والثناء إلا قاله في الأزد . ثم جاء وجوه الأنصار من الأزد وغيرهم مسلمين على عبد ومن معه .



أهل عُمان وردة العرب

لم يغب عن أبي بكر الصديق خليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام أن أهل عمان كانوا سندا للاسلام والمسلمين في محنة الردة التي كان على الدولة العربية الاسلامية الوليدة أن تجتازها . فقد واجهت أبا بكر الصديق في أول خلافته حركة الردة التي بدت طلائعها قبيل وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، والتي كانت حركة دينية اجتماعية سياسية . فقبيل وفاة الرسول عليه السلام ارتد طليحة الأسدي وادعى النبوة في أطراف نجد ، وكذلك فعل الأسود العنسي في اليمن . ثم ظهر مسيلمة في اليمامة وادعى انه نبي الله وخليفة الرسول وتبعه كثيرون من بني حنيفة ، وقامت سجاح احدى نساء بني تميم وادعت النبوة واتفقت مع مسيلمة وتزوجته .

هذا فضلا عن جماعات من القبائل لم تعترف بحكومة أبي بكر وامتنعت عن أداء الزكاة ، وبالاضافة إلى ذلك كان هناك العرب الذين ارتدوا تماما لأن الاسلام لم يتمكن في قلوبهم ولأنهم أسلموا مقلدين أو خائفين . وهكذا نرى أن المرتدين

والمتنبئين أحاطوا بعمان فلم تهتز وبقيت على ولائها للاسلام .

ولعلنا نلحظ الفارق الكبير بين موقف عمان من عمرو بن العاص الذي كرمه أهل عمان واعترف هو بحسن اسلامهم وبين موقف البحرين من العلاء الحضرمي عامل الرسول عليه الصلاة والسلام هناك ، اذ اضطر العلاء الحضرمي الى الاعتصام في حصن الى الشمال من هجر حتى أقبل خالد بن الوليد لنجدته بعد أن قضى على مسيلمة .

ولم يفت أبو بكر الصديق ، خليفة رسول الله أن يشيد بحسن إسلام العمانيين . فغداة وصول عمرو بن العاص إلى المدينة مع عبد بن الجلندي ووفد الأزد ، يذكر الرواة ما نصه (فلما كان من الغد أمر أبو بكر فجمع الناس من المهاجرين والأنصار وقام أبو بكر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه وقال : معاشر أهل عُمان ، إنكم أسلمتم طوعا لم يطأ رسول الله ساحتكم بخف ولا حافر ، ولا جشمتموه ما جشمه غيركم من العرب ، ولم ترموا بفرقة ولا تشتت شمل ، فجمع الله على الخير شملكم . ثم بعث اليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فاجبتموه اذ دعاكم على بعد داركم ، واطعتموه اذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم ، فأي فضل أبر من فضلكم ؟! وأي فعل أشرف من فعلكم ؟! كفاكم قول رسول الله ﷺ الى يوم المعاد . ثم أقام فيكم عمرو

ما أقام مكرما ، ورحل عنكم اذ رحل مسلما وقد منّ الله عليكم باسلام عبد وجيفر ابني الجلندي واعزكم الله به واعزه بكم . وكنتم على خير حال وجميل حتى أتتكم وفاة رسول الله ﷺ فأظهرتم ما يضاعف فضلكم ، وقمتم مقاما حمدناكم فيه ، ومحضتم بالنصيحة ، وشاركتم بالنفس والمال فيثبت الله به ألسنتكم ويهدي به قلوبكم ، وللناس جولة فكونوا عند حسن ظني فيكم ، ولست أخاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم ولا أن ترجعوا عن دينكم . جزاكم الله خيرا(١) .

والحق أننا لم نسمع عن حركة ردة في عمان اللهم الا حركة ذكرها البلاذري في فتوح البلدان والطبري في تاريخه ، ومن أخذ عنهما من المؤرخين مثل ابن الاثير في الكامل . فيذكرون ان الازد ارتدت وعليها لقيط بن مالك ذو التاج الازدي وانحازت الى دبا (٢) فوجه أبو بكر - رضي الله عنه - اليهم حذيفة بن محصن الغلفاني (أو حذيفة بن محصن البارقي) من الأزد وعكرمة بن ابي جهل بن هشام المخزومي أو عرفجة البارقي ، فواقعا لقيطا ومن معه فقتلاه ، وسبيا من أهل دبا سبيا بعثا به الى ابي بكر - رحمه الله - .

وقيل إن لقيط بن مالك كان يسمى في الجاهلية

---

(١) انظر : السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٨ - ٩ .

(٢) دبا : منطقة عمانية تفتح على الشاطىء الغربي من خليج عُمان ، يحدها شرقا ساحل الخليج ، وتطل عليها غربا سلسلة جبال الحجر الغربي المرتبطة بجبال رأس مسندم ، وقد اشتهرت دبا قديما في التاريخ العماني بحكم موقعها الأستراتيجي .

الجلندي ، وادعى النبوة ، والجأ جيفرا وعبدا الى الجبال والبحر ، وان جيفرا كتب الى ابي بكر يخبره بذلك ويطلب منه النصرة ، وقد أمر أبو بكر قائديه أن يجدا السير حتى يقدما عُمان فاذا كانا قريبين منها كاتبا جيفرا وعبد وعملا برأيهما .

وروي ان المسلمين قتلوا من المشركين ١٠,٠٠٠ وأرسلوا خمس الغنائم إلى أبي بكر مع عرفجة وأقام حذيفة بعمان حتى يمهد الأمور ويسكن الناس.[1] أما الرواة العمانيون فهم ينفون حركة الردة نفيا قطعا ويعلقون على ما ذكره بعض المؤرخين عن ردة عمان بأنها لم تكن حركة ردة ، وإنما كانت المسألة بسبب خلاف حول زكاة احدى النساء في دبا وخاف حذيفة بن محصن الغلفاني أن يكون القوم قد ارتدوا فأغار عليهم وسبى أهل دبا بحق وبغير حق فذهب وفد من عُمان إلى أبي بكر وقالوا له : (يا خليفة رسول الله إنا على إسلامنا لم نتقل عنه ولم نمنع زكاة ولم ننزع يداً من طاعة ولم نرجع عن دين ، وقد عجل علينا صاحبك وكففنا أيدينا إلى أن أتيناك) . وكان وفد عُمان بالمدينة حين توفي أبو بكر الصديق وولي عمر بن الخطاب الخلافة فأمر عمر برد سبي دبا بعد أن عنف حذيفة تعنيفا شديدا[2] .

(١) انظر : البلاذري . فتوح البلدان ص ٨٢ ـ ٨٤ ، والطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٦١-٢٦٢ .

(٢) انظر : السالمي ، تحفة الأعيان في سيرة أهل عُمان ج ١ ص ٥١ ـ ٥٧ ونلاحظ أن السالمي يعلق على رواية المؤرخ ابن الأثير في كتابه الكامل ، والخاصة بحركة الردة في عُمان بقوله (وكله باطل لا أصل له والله أعلم) السالمي ، تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٧ .

اشتراك عُمان في الفتوحات الاسلامية

لم تتخلف عُمان في فجر إسلامها عن الفتوحات الاسلامية العظيمة برا أو بحرا ، وتذكر الروايات التاريخية أن الملك عبد بن الجلندي حين كان بالمدينة طلب من أبي بكر الصديق أن يقوم بحرب الغساسنة (آل جفنة) على حدود الشام . واستجاب له أبو بكر وامره على سرية كان فيها حسان بن ثابت الانصاري . ولما عادت سرية عبد بن الجلندي من ديار آل جفنة قام حسان وقال : (قد شهر مقام عبد في الجاهلية والاسلام ، فلم أر رجلا أحزم ولا أحسن رأيا وتدبيرا من عبد ، وهو الله ممن وهب نفسه في يوم غارت صياحه وأظلم صباحه) فسر ذلك أبا بكر وقال : (هو يا أبا الوليد كما ذكرت ، والقول يقصر عن وصفه ، والوصف يقصر عن فضله) ، فبلغ ذلك عبد ، فبعث إليه بمال عظيم وأرسل اليه : أن مالي يعجز عن مكافأتك فاعذر فيما قصر واقبل ما تيسر ، ثم إن أبا بكر كتب كتابا الى أهل عمان يشكرهم ويثني عليهم[1] .

---

(١) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٤٨ .

أما دور عمان في فتح العراق وفارس وخاصة من ناحية البحر فإنه لا شك كان عظيما ، ومع ذلك لا نقرأ عنه إلا أسطرا قليلة في روايات المؤرخين . ومن هذه الروايات التاريخية القليلة نعرف أن الخليفة عمر بن الخطاب طلب من والي عمان عثمان بن أبي العاص الثقفي ، بعد وقعة جلولاء (١٦هـ/٦٣٧م) أن يقطع البحر لمحاربة كسرى فارس . فخرج معه ثلاثة آلاف محارب ، أو ألفان وستمائة ، من الأزد ، وراسب وناجية وعبدالقيس وأكثرهم من الأزد ، فعبر بهم عثمان بن ابي العاص من جلفار [1] إلى جزيرة كاوان وفيها قائد العجم ، فسالم القائد الفارس عثمان بن أبي العاص ولم يقاتله .

ولما علم يزدجرد كسرى فارس بذلك ، كتب إلى عظيم كرمان (أن أقطع إلى جزيرة بني كاوان ، فحل بين العرب الذين بها وبين إخوانهم) ، فقطع في ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف هوموز إلى رأس القسم (واسمها جاش فعبروها) فلقيه ابن أبي العاص في جزيرة القسم فتقاتلوا قتالا شديدا فقتل الله شهرك وهزم المشركين وقيل ان يزدجرد وجه الى العرب شهرك ، في أربعين

---

(١) جلفار أو جوفار هي مدينة خصبة بناحية عُمان وأكثر ما تسمى جلفار (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٦٢٢) وقد اندثرت هذه المدينة وقامت الآن بالقرب من انقاضها رأس الخيمة بدولة الامارات العربية المتحدة وما زالت اطلالها باقية (أبو بشير محمد بن حميد السالمي : تحفة الأعيان بحرية عمان ص ١٨ ـ مطابع دار الكتاب العربي ـ مصر) .

الفا من الاساورة[1] وكان هذا النصر للعرب على يد العمانيين ، كما كان قتل شهرك بيد العمانيين . وكانت العرب تدعوه شهرك ابن الحمراء[2] .

ولا شك أن انتصار أهل عمان الحاسم على شهرك كان من أهم الاسباب التي قضت على تطلعات الفرس في تطويق العرب من الجنوب وقضى هذا الانتصار بيد اهل عمان على فرصة اخيرة للفرس لاستعادة ملكها وللانتصار على العرب .

والحق أن أهل عمان ساهموا مساهمة فعالة في الفتوحات الكبرى في البر والبحر فشاركوا في حروب الشام وفارس ولم يتخلفوا عن واجب الجهاد سواء أكان الجهاد بالدم أو بالمال . وقد أشار إلى فضل العمانيين في الجهاد الخليفة الرشيد أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب . وتتابع بعد ذلك جهاد أهل عمان لنشر ألوية الاسلام في مختلف الأصقاع وخاصة في شمال أفريقية وفي شرقيها ووسطها .



(١) قال الفيروز ابادي في القاموس المحيط (باب الراء فصل السين مادة سور) والأسوار بالضم والكسر : قائد الفرس والجيد الرمي بالسهام والثابت على ظهر الفرس . والجمع اساورة وأساور .
(٢) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٢ .

عمان والحركة العلمية في فجر الاسلام

بعد أن اعتنق العُمانيون الاسلام أقبلوا بحماس بالغ على دراسة القرآن والتفسير والحديث وآداب اللغة العربية وغير ذلك من مختلف العلوم والفنون والآداب الاسلامية العربية . وكان شأن عمان في ذلك شأن كافة الامصار الاسلامية وديار الاسلام ، إذ كان أكثر العلماء الذين ظهروا آنذاك علماء دين . وأصبحت عمان بفضل فقهائها وعلمائها وأدبائها مركزا هاما للحركة العلمية الدينية في الدولة الاسلامية . ويجدر بنا أن نلاحظ أنه ليس من السهل تمييز طائفة الفقهاء والعلماء والأدباء في فجر الاسلام تمييزا دقيقا لأن هذه الطوائف تلتقي في بعض الأحيان ، وإن كان المعروف أن الفقهاء هم حملة علوم الشريعة والعبادات ، وأما العلماء فهم المتخصصون في فن واحد وأما الباقون ممن تكلموا في فنون مختلفة فهم الأدباء .

ولم يكن عجيبا أن تزدهر عُمان منذ فجر الاسلام ازدهارا كبيرا فهي في ذلك مكملة لمسيرتها الحضارية عبر آلاف

السنين . وفضلا عن الازدهار العلمي في عُمان فإنها قامت بنشر الاسلام وتثبيت أقدامه في أجزاء متفرقة من المعمورة حيثما حل طلاب العلم ، وحيثما وصل التجار العمانيون ، وحيثما التقى الحجاج في بيت الله الحرام .

وخرج من عمان العلماء النجباء والبلغاء الخطباء ، وروي أن الجاحظ قال : (لربما سمعت مَنْ لا علم له يقول : ومن أين لأهل عمان البيان ؟ قال : (يعني عمرو بن بحر وهو الجاحظ) وهل يعدون لبلدة واحدة من الخطباء والبلغاء ما يعدون لأهل عمان ؟! منهم مصقلة بن الرقية أخطب الناس قائما وجالسا ومفردا ومنافسا ومجيبا ومبتدئا ، ثم ابنه من بعده كرب بن مصقلة ولهما خطبتا العرب العجوز في الجاهلية والعذراء في الاسلام)(١) .

والحق ان كتب المؤرخين والادباء ، وكتب الطبقات والتراجم تشير إلى كثير من خطباء وأدباء وعلماء عُمان في فجر الاسلام .

ومن أشهر قضاة عُمان فجر الاسلام كعب بن سور الذي قدم البصرة بعد تمصيرها فولاه عمر بن الخطاب القضاء فيها .

ومن علماء عُمان الافذاذ أبو الشعثاء جابر بن زيد

---

(١) انظر السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٩ .

الأزدي ، وهو من كبار التابعين ، ومن العلماء العمانيين صحار بن العبد الصحابي العماني . ومنهم الربيع بن حبيب الذي أدرك في شبابه جابر بن زيد . ومنهم أبو المنذر بشير بن المنذر النزواني ، ومنير بن النير الجعلاني ، وموسى بن أبي جابر الأزكوي ، ومحبوب بن الرحيل ، ومحمد بن المعلى الكندي ، ومن علماء عُمان البارزين أبو حمزة الشاري المختار بن عوف وهو من بني سليمة بن مالك بن فهم ، وهو صاحب الامام طالب الحق عبدالله بن يحيى الحضرمي . وكان ابو حمزة المختار خطيبا مصقعا له الخطب المشهورة .

وروى بعضها مالك بن أنس الذي قال عند روايته : (خطبنا أبو حمزة المختار بن عوف خطبة حيرت المبصر وردت المرتاب ، يعني ان المبصر في دينه المخالف لأبي حمزة صار بعد سماع خطبته محتارا غير مبصر لما سمع فيها من الحجج الباهرة والبراهين القاهرة الناقضة لما هو عليه من سوء الاعتقاد ، وأن المرتاب في مذهبه رجع بسماع خطبة أبي حمزة الى مذهب الحق وترك ما كان عليه من الريب . .)[1] .

ومن خطباء عُمان صعصعة بن صوحان بن زيد وأخوه . ومن خطبائهم الذين اشتهروا بالارتجال وثاقب الفكر وحسن البديهة والرأي مرة بن التليد الأزدي ؛ وكان رسول

---

(١) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١١ .

المهلب بن أبي صفرة إلى الحجاج بن يوسف الثقفي .

ومن أهل عُمان الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي ، خرج إلى البصرة وأقام بها فنسب إليها وهو صاحب كتاب (العين) إمام الكتب في اللغة ، وكان الخليل بن أحمد قد اخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي ، وهو شيخ سيبويه في النحو ، ومن أهل عُمان أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي الحسن بن دريد الأزدي ؛ صاحب كتاب الجمهرة ، وله مصنفات عدة ، وكان يملك ناصية فنون العلم والأدب وكان لا يدانيه أحد في الخطابة والشعر والأدب . ومن أهل عُمان أبو العباس المبرد صاحب كتاب الكامل .

وهذه الأمثلة قليل من كثير في بحر العلوم الزاخر ، إذ كانت عُمان تعطي وتأخذ في العلوم والفنون والآداب والسياسة والحرب ، حتى وقتنا الحاضر ، باستثناء الفترات التي غلبت فيها الفتن والتي حاول فيها المغتصبون سلب سيادتها وتفتيت دولتها .

وهكذا نرى أن الاسلام دفع عُمان دفعة قوية نحو التطور والحضارة وساهم مساهمة فعالة في إثراء الفكر العماني وفي إرساء الحضارة العُمانية المجيدة وأصبحت عُمان الاسلامية العربية مركزا علميا هاما في الدولة الاسلامية الشاسعة الارجاء . ظهر دورها الفعال والواضح في مختلف نواحي

الحضارة الاسلامية دون أن تفرط في علاقاتها مع سائر الدول والشعوب التي اتصلت بها منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر بحكم موقعها الجغرافي وصلاتها البحرية والتجارية والسياسية والثقافية .



الأباضية في عُمان

حين أسلم أهل عُمان كان إسلامهم عن فهم واقتناع وليس عن خوف ورهبة . وهذا واضح من الروايات التاريخية التي تحدثنا عن وفود العمانيين إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتلك التي تحدثنا عن رسل الرسول الكريم إلى أهل عُمان ، فضلا عن الروايات التي تبين ارتياح أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب لحسن إسلام العمانيين .

والمعروف أن العمانيين أقبلوا منذ قبولهم الدعوة الاسلامية على دراسة الاسلام والتشريع الاسلامي من أصوله الصحيحة وهي القرآن الكريم ثم الحديث والسنة الشريفة ، ثم الاجماع .

واتصل العمانيون بأصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ليأخذوا عنهم دينهم الصحيح فأخذوا عن أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وأبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وعبدالرحمن بن عوف ، وعمار بن ياسر ،

وعبدالله بن مسعود ، وأبي ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، وصهيب الرومي ، وبلال الحبشي ، وأبيّ بن كعب .

كذلك أخذ العمانيـون العلم عن غير هؤلاء من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأصبحت الصلة العلمية قوية بين عُمان والمدينة . وحين مصّر الخليفة عمر بن الخطاب البصرة في سنة ١٦ هـ قدم إليها نفر من العمانيين كان منهم كعب بن سور الذي عينه عمر بن الخطاب قاضيا عليها . واخذت البصرة تنمو تجاريا وعلميا وسكانيا وقويت صلتها بعمان حتى شبهوا العلم (بطائر باض بالمدينة وفرخ بالبصرة وطار إلى عمان) [١] .

وحين يتكلم ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦هـ /١٢٢٩م) عن عُمان يقول : «واكثر اهلها في أيامنا خوارج أباضية ليس بها من غير هذا المذهب الا طارىء غريب وهم لا يخفون ذلك» [٢] .

والحق انه لا يمكن للباحث أن يدرس تاريخ عُمان الاسلامي دون ان يفهم الحركة الاباضية من حيث نشأتها وتطورها ونشاطها . والمعروف ان المذهب الاباضي في عُمان اقدم من اسمه ، كما ان الأباضية في عمان قديمة قدم الاسلام فيها ، وتعتبر عمان الموطن الأم للأباضية في العالم الاسلامي .

---

(١) انظر السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٦٦ .
(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٢١٥ .

لكننا نلاحظ أن جل المؤرخين وكتاب الفرق والعقائد والنحل القدماء والحديثين ، فضلا عن سائر الكتاب ، يعتبرون الأباضية إحدى فرق الخوارج ، وهذا واضح مثلا في كتابات الاشعري[1] ، والملطى الشافعي[2] ، وعبدالقاهر البغدادي[3] ، والخطيب الرازي[4] ، وابن حزم الأندلسي[5] ، والشهرستاني[6] ، والشاطبي الغرناطي[7] ، فضلا عن سائر الكتاب المعاصرين المستشرقين منهم وغير المستشرقين[8] .

وأدخلهم البعض عن جهل أو تعصب ضمن فرق الغلاة الذين غلوا بدينهم وخرجوا عن أصول الاسلام . ولسنا نشك

---

(١) الأشعري (أبو الحسن علي بن إسماعيل ت ٣٣٠هـ) : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين . ج ١و٢ . تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد مكتبة النهضة المصرية القاهرة . الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

(٢) الملطى الشافعي المعروف بالطرائفي (أبو الحسن محمد أحمد بن عبدالرحمن ت ٢٧٧هـ) : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع . الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٦٨هـ . قدم له وعلق عليه محمد زاهد بن الحسن الكوثري وكيل المشيخة الاسلامية في الخلافة العثمانية سابقا .

(٣) البغدادي (عبدالقاهر بن طاهر البغدادي . ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) : الفرق بين الفرق . دار الأفاق الجديدة . بيروت . الطبعة الاولى . ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) .

(٤) الرازي (الامام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب . ت ٦٠٦هـ) : كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين . مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

(٥) ابن حزم الانדلسي (الايام أبو محمد علي الظاهري . ت ٤٥٦هـ) . الفصل في الملل والاهواء والنحل . مؤسسة الخانجي بمصر .

(٦) الشهر ستاني (محمد بن عبدالكريم . ت ٥٤٨هـ ١١٥٣م) كتاب الملل والنحل . أخرجه محمد بن فتح الله بدران . الطبعة الأولى مطبعة الازهر .

(٧) الشاطبي الغرناطي (أبو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي) : الاعتصام ج ١و٢ . المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ١٣٣٢هـ .

(٨) أنظر مثلا : فلهوزن (يوليوس) الخوارج والشيعة . ترجمة عبدالرحمن بدوي . القاهرة ١٩٥٨م ، علي مصطفى الغرابي : تاريخ الفرق الاسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين . الطبعة الأولى . القاهرة ١٩٤٨م .

في أن أعداء الاسلام في مختلف الأزمنة قد دسوا نصوصا ليحطموا دولة الاسلام ويدمروا كيان المسلمين . وفي اعتقادنا أن اطلاق صفة الخوارج على الأباضية يرجع الى الجهل بالمصادر الأباضية والفقه الاباضي . وربما يرجع الخلط بين الأباضية والخوارج عند عامة الناس إلى أن الأباضية أنفسهم في عمان وغيرها يستخدمون أحيانا كلمة «خوارج» حين ينقلون عن الكتاب القدماء والحديثين ولكنهم يتداركون هذا الخطأ فيقولون «الخوارج» يعني «المسلمين» وذلك حين يكون الحديث عن الأباضية ، مثلما نرى في كتاب «تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان» للشيخ أبي محمد عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي المتوفي سنة ١٣٣٢هـ ، وهو من علماء الأباضية في عُمان في عصرنا الحديث .

وسواء أكان سبب هذا الخلط بين الأباضية والخوارج مقصودا أو غير مقصود ، فإن الأباضية يشتركون مع الخوارج في إطلاق اسم «الشراة» على أنفسهم أحيانا فضلا عن أنهم يتفقون مع الخوارج في بعض آرائهم حول إمامة المسلمين . فيذكر مؤرخو الاباضية أحيانا أن الامام الاباضي «بويع على الشراء» (١) أو كان «إماما شاويا» (٢) أو بويع على قطع

(١) انظر السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢١٤ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٤ .

الشرى»[1]. وقد سمى «الأباضية» أنفسهم «الشراة» ، وكذلك سمى الخوارج أنفسهم «الشراة» وكذلك من قولهم : شرينا أنفسنا لدين الله فنحن لذلك شراة» [2] ، أو من الآية القرآنية ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوارة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ [3] . أما «قطع الشرى» فمعناها من يتقدم فيقاتل عن القوم ، أو من يتقدم إلى السلطان فيتكلم عن القوم ؛ وهي عبارة استخدمها كل من الأباضية والخوارج .

أما فيما يتعلق بخلافة المسلمين أو «الأمامة» فإن الاباضية والخوارج يعتقدون بصحة خلافة أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان في صدر خلافته . ورأى الاباضية والخوارج ، أن عثمان بن عفان بعد السنين الست الأولى من خلافته أحدث أمورا لم يعمل بها صاحباه من قبل ، أي لم يعمل بها أبو بكر وعمر ، ولما رأى المؤمنون ما أحدث عثمان أتوه وكلموه وذكروه بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسنة أبي بكر

---

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٤ ، فضيلة الشيخ سالم بن حمود السيابي (ابو هلال السيابي السمائلي) : إزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء ص ٤٧ [تحقيق الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف القاهرة ١٩٧٩م] .

(٢) المقريزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ (طبعة بولاق - القاهرة ١٢٧٠هـ) .

(٣) سورة التوبة : آية ١١١ .

وعمر ، لكنه ضرب من شاء منهم وسجن من سجن ونفى من نفى . كذلك اعتقد الخوارج ، والأباضية بصحة خلافة علي بن أبي طالب إلى أن قبل تحكيم عبدالله بن قيس أبي موسى الاشعري ، وعمرو بن العاص ، وخلع نفسه وصارت الامامة يلعب بها الحكمان فاعتزله المسلمون عند ذلك وقدموا على أنفسهم إماما وهو عبدالله بن وهب الراسبي وذلك في ١٠ شوال سنة ٣٧هـ (١) .

ومن الطبيعي أن تتشابه وأن تلتقى آراء السنة مع آراء المعتزلة أو الشيعة أو الأباضية أو الخوارج أو المرجئة فالمنبع والمصدر واحد ألا وهو الاسلام ، لكن كل مذهب له جذوره التاريخية والسياسية والفكرية .

وقد نشرت وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان في هذه السنة مخطوطتين بعنوان : «أصدق المناهج في تمييز الأباضية من الخوارج» و«إزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء» للعالم الأباضي المعاصر أبي هلال سالم بن حمود بن شامس السيابي السمائلي (٢) . وقد حرص مؤلف المخطوطتين على

---

(١) هذه الآراء في كتاب عبدالله بن أباض إلى عبدالملك بن مروان في : البرادي (أبو القاسم بن إبراهيم ت ٦٩٧هـ) : الجواهر المنتقاة ص ١٥٦ ـ ١٦٧ «طبعة حجرية القاهرة ١٨٨٤م» ، السالمي : تحفة الاعيان ج ١ ص ٦٠ ـ ٦١ ، وأبو هلال السيابي السمائلي : ازالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء : ص ٨٦ ـ ١٠١ «تحقيق الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف . طبعة القاهرة ١٩٧٩م» .

(٢) قام بتحقيق وشرح المخطوطتين الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف «مطبعة سجل العرب ، القاهرة ١٩٧٩»م .

تصحيح الآراء التي وردت في الكتب القديمة والحديثة عن الأباضية ، كما نفى نفيا قاطعا أن الأباضية من الخوارج ، فضلا عن حديثه عن أئمة الأباضية الأول ، والحديث عن جوهر الفقه الأباضي .

والمؤلف يدعو بطريق مباشر وغير مباشر إلى تصحيح الروايات المدسوسة على الاسلام وإلى التقريب بين المسلمين في مختلف أنحاء العالم الاسلامي بدلا من توسيع الهوة وإيجاد الفرقة بين أبناء الدين الاسلامي ، وهو في عمله هذا يدعو إلى الاعتصام بحبل الله كما دعا إلى ذلك من قبل الامام الشاطبي الغرناطي في كتابه : «الاعتصام» .

وصدق الله العظيم إذ قال : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا * وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾[1] .

والحق أن الدارس للمصادر والمراجع الأباضية ولتاريخ عُمان يرى الأباضيين ينكرون نسبهم إلى الخوارج كما يتبرءون من الفرق الغالية . فالخوارج في نظر جل المؤرخين ، وكتاب الفرق والعقائد ، والفلاسفة والأدباء ، هم الذين خرجوا على

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٠٣ .

عليّ بن أبي طالب حين قبل التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان سنة ٣٧هـ .

أما أباضية عُمان وزنجبار وشرقي افريقية ، وشمال أفريقية في جبل نفوسة في ليبيا ، وجزيرة جربة في تونس ، ووادي ميزاب في الجزائر ، وفي غير ذلك من الأماكن فيتبرءون من نسبتهم إلى الخوارج ، والخوارج في نظرهم معناها الغلو والتطرف او الخروج على الاسلام .

ويمكننا وصف اباضية عمان بأنهم «أهل الطريق القويم وأهل الصراط المستقيم الذي جاء به محمد ﷺ ودعا العرب والعجم إليه وجاهدهم حتى دخلوا فيه رغبا وحبا» (١) .

ويخلط مؤرخو الفرق والعقائد القدماء أيضا بين الخوارج والأباضية في عُمان حين يقولون إنه بعد نكبة الخوارج في النهروان على يد علي بن أبي طالب سنة ٣٨ هـ ، سار من الخوارج رجلان إلى عُمان ومن أتباعهما خوارج عُمان(٢) .

والحق أن فقهاء ومؤرخي الأباضية قديما وحديثا يؤكدون أن مذهبهم هو الاسلام القائم على القرآن الكريم : وعلى الأحاديث النبوية وعلى السنة الشريفة ، وعلى الاجتهاد ، وعلى آثار أئمة الهدى والعلم بالله . ويجدر أن نشير هنا الى ان

---

(١) انظر : السالمي : تحفة الاعيان ج ١ ص ٦٠ .

(٢) البغدادي (عبدالقاهر بن طاهر أبي منصور) : مختصر كتاب الفرق بين الفرق . ص ٧١ (مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٢٤م) .

الاباضية يختلفون عن فرق الخوارج الأزارقة والصفرية والنجدية وغيرها من فرق الخوارج التي ذكر عبدالقاهر بن طاهر البغدادي انها عشرون فرقة ، والتي ذكر المقريزي [1] أنها اثنتان وعشرون فرقة .

فالأباضية في عُمان اختاروا طوال تاريخهم طريق الاعتدال وابتعدوا عن التطرف وجعلوا هدفهم الرئيسي إقامة تعاليم الدين الاسلامي ، أي أنهم ربطوا بين الايمان وبين العلم والعمل . فضلا عن أنهم اجتهدوا طوال العصور والازمنة التاريخية في نشر الاسلام حيثما حل طلاب العلم ، وحيثما وصل التجار العمانيون ، وحيثما التقى الحجاج في بيت الله الحرام . والمعروف انه لما عظم خطب الخوارج ولما ثار نافع بن الأزرق هو وأصحابه الخوارج الأزراقة بالبصرة في سنة ٦٥هـ ، كتب عبدالله بن الزبير من مكة إلى المهلب بن أبي صفرة القائد العُماني الأزدي الشهير ـ وكان آنئذ بخراسان ـ يوليه حرب الخوارج . كذلك استنجد بالمهلب بن أبي صفرة ، أهل البصرة .

واستجاب المهلب للدعوة وأنقذ البصرة من الخوارج الأزارقة حتى عرفت البصرة به فقالوا «بصرة المهلب» وظل المهلب بن أبي صفرة العماني ـ هو وبنوه ـ يقاتلون الخوارج تسع

---

(١) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ج ٢ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ .

عشرة سنة بعضها في أيام ابن الزبير وباقيها في خلافة عبدالملك بن مروان وولاية الحجاج على العراق . وقد حاربهم المهلب بالرأي والمكيدة كماحاربهم بالسيف [1] .

ولم يكن للأباضية هدف لتكوين حزب أو إنشاء مذهب خاص ، فمذهبهم الاسلام ودينهم الاسلام . ولم يكن اعتراض الأباضية على سياسة الخليفة عثمان بن عفان بعد السنين الست الأولى من خلافته ، ولا على الامام علي بن أبي طالب بعد قبوله التحكيم لأسباب شخصية أو لمنفعة مادية ، وإنما لأسباب تمت في رأيهم إلى العقيدة الاسلامية متخذين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ نصب أعينهم ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا﴾ [2] .

ولا نلاحظ في تاريخ عمان منذ فجر الاسلام فيها تنافرا بين الأباضية وبين أهل السنة فقد عاشوا في تآلف في ظل الدين الاسلامي الحنيف ، واختاروا طريق الاعتدال ، وجعلوا

---

(١) انظر ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٨م) : الكامل في التاريخ . ج ٤ ص ٨١ ، ١١٨ - ١٢٠ ، ١٨٢ - ١٨٣ (طبعة بولاق - القاهرة ١٢٧٤هـ) ، Nicholson (A. Reynolds) : Literary History of the Arabs., p. 210 (Cembridge 1930).

والدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج ١ ص ٢٩٦ - ٢٩٨ (الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٤٨م) . والسالمي : تحفة الاعيان ج ١ ص ١٢ ، ودكتورة سيدة اسماعيل كاشف : الوليد بن عبدالملك ص ٦٦ - ٦٧ (اعلام العرب رقم ١٧ - القاهرة ١٩٦٣م) .

(٢) سورة الاسراء : آية ٩ .

هدفهم الوحيد إقامة شعائر الدين الاسلامي والمحافظة عليه علما وقولا وعملا ، واتخذوا جميعا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ نصب أعينهم .

وجدير بالذكر أنه وفد على عُمان بعض المذاهب الاسلامية وبعض الحركات الدينية السياسية المعروفة في تاريخنا الاسلامي ، لكن العمانيين لفظوها كما كان الحال في مصر الاسلامية منذ فجر الاسلام فيها .

والمعروف أن حركة الزنج نجحت في جنوب العراق وفي البحرين فترة من الزمن ، أي في شمال عمان مباشرة ، وذلك منذ القرن الثالث الهجري ، وبالرغم من تغلب الزنج على بعض أنحاء عُمان في القرن الرابع الهجري فإن العمانيين قضوا عليهم وعلى حركتهم [1] .

والمعروف أيضا أن القرامطة جاءوا إلى عُمان وغلبوا عليها بضع سنين من القرن الرابع الهجري لكن العمانيين نجحوا في القضاء عليهم وتطهير البلاد منهم [2] . وقبل ذلك رفضت عمان مسألة القول بخلق القرآن التي قال بها المعتزلة واعتنقها المأمون العباسي إلى أن أبطل الكلام فيها المتوكل على الله العباسي .

---

(١) أنظر : السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

(٢) انظر : السالمي : تحفة الاعيان ج ١ ص ٢١٠ ـ ٢١٧ .

ويوكد قولنا هذا جميع المصادر الاسلامية التي وقعت في أيدينا . ولعل تعبير ياقوت الحموي موفق إلى أبعد الحدود حين قال عن أهل عمان : «وأهل البحرين بالقرب منهم يضدهم ، كلهم روافض سبابون لا يكتمونه ولا يتحاشون وليس عندهم من يخالف هذا المذهب إلا أن يكون غريبا . .»[1] .

(أ) مشاهير الأئمة الأباضية في فجر الاسلام :

١ ـ الامام أبو الشعثاء جابر بن زيد :

المعروف أن عُمان هي موطن إمام الأباضية وعالمها وفقيهها جابر بن زيد الأزدي العماني .

ولد جابر بن زيد قبيل نهاية خلافة عمر بن الخطاب بين سنتي ١٨ ، ٢٢ هـ[2] في بلدة الفرق من أعمال نزوى في عُمان ، وجابر من ولد عمرو بن اليحمد ، وهي قبيلة من القبائل الأزدية البارزة في عُمان ، ومنها بنو خروص المشهورون في تاريخ عُمان . وكان جابر بن زيد يكنى بابنته «الشعثاء» التي لا يزال قبرها معروفا في الفرق إلى الآن .

وتلقى جابر بن زيد بداية تعليمه في وطنه عُمان . ثم رحل الى البصرة للاستزادة من العلم والفقه ، وكانت البصرة آنذاك إحد المراكز العلمية الهامة في الدولة الاسلامية ، كما

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٢١٥ .

(٢) انظر البرادي . الجواهر المنتقاه ، ص ١٥٥ .

كانت تتصل اتصالا وثيقا بعمان جغرافيا وبشريا وثقافيا وذلك منذ ان اختطها عتبة بن غزوان في عهد عمر بن الخطاب .

وكان جابر بن زيد من كبار التابعين ، أدرك سبعين صحابيا من أهل بدر ، وكان عبدالله بن العباس - أو البحر - من أعظم أساتذة جابر ، وكان يفخر بتلميذه الذي تعمق في دراسة القرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم الشريعة الاسلامية ، كذلك اخذ جابر العلم عن السيدة عائشة أم المؤمنين ، وعن أنس بن مالك وعن عبدالله بن عمر بن الخطاب وعن غيرهم من صحابة رسول الله ﷺ .

وعاصر جابر بن زيد كثير من العلماء والفقهاء مثل الحسن البصري وعمرو بن دينار وغيرهما لكن جابر تفوق عليهم جميعا في العلم والخلق والشجاعة في الرأي ، فكان ينشر العلم في المساجد والمجامع ويجاهد في سبيل إحياء سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويدعو سرا وعلنا إلى ضرورة محافظة الأمة الاسلامية على شريعة الله متمثلا بقوله تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾[1].

وكان جابر بن زيد مفتي البصرة حتى إن عبدالله بن عباس كان يقول : عجبا لأهل العراق كيف يحتاجون إلينا

( ) سورة آل عمران : آية ١١٠ .

وفيهم جابر بن زيد !! وفضلا عن ذلك فإن جابر بن زيد كان من أوائل التابعين الذين عنوا بتدوين الاحاديث والسنن ، وسبق جابر بذلك أصحاب المذاهب الاربعة عند أهل السنة : الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية .

وقد روى عن جابر بن زيد أكثر اهل المذاهب واعتمدوا على ثقته وأمانته .

وممن روى عن جابر بن زيد ، البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم ، كما اخذ عنه المفسرون مثل الخصاص ، وتتلمذ على يديه عشرات من العلماء ، واعتبره أهل السنة من المحدثين الثقاة ومن الفقهاء البارزين .

وان كانت نشأة الاباضية سياسية بعد السنوات الاولى من خلافة عثمان بن عفان (حوالي سنة ٢٩ هـ) ، أو حين قبل علي بن أبي طالب التحكيم ، وبايع الخارجون على التحكيم عبدالله بن وهب الراسبي أميرا للمؤمنين في سنة ٣٧هـ ، الا أن جابر بن زيد يعتبر مؤسس المذهب والفكر الاباضي ، وبالرغم من أن أبا الشعثاء قضى معظم حياته العلمية في البصرة وفي عصر سلطان الأمويين حيث كانت يد الحجاج الحديدية تبطش بكل مناوىء للدولة ، إلا انه التزم برسالته الدينية العلمية وألف جابر موسوعته العلمية النفيسة التي عرفت باسم «ديوان جابر» وذلك في النصف الثاني من القرن

الأول الهجري .

وقيل إن عبدالملك بن مروان وبنيه استولوا على «ديوان جابر» وحرموا دراسته ونشره على الناس . وروي ان العباسيين حرموا على الناس استنساخه ، ووضعوه في مكتبة دار الحكمة في بغداد وكانوا يعلمون أنه من مفاخر المسلمين . وكان ديوانه العظيم ثروة علميه اصيلة من تراث الاباضية العلمي العظيم [1] .

ويروى أن النفاث فرج بن نصر ، مؤسس النفاثية الاباضية في جبل نفوسة في ليبيا ، حصل على نسخة كاملة من ديوان جابر بن زيد وأتى بها إلى جبل نفوسة . ولكنه دمر المخطوطة حتى لا يستطيع مناوئوه الحصول عليها بسبب عداوته للامام الرستمي في تاهرت ولعامله في جبل نفوسة [2] .

ولم يقتصر نشاط جابر بن زيد على التعليم والتأليف ، بل كان يعمل جاهدا للرجوع بالدولة الاسلامية إلى نهج أبي بكر وعمر ، وعثمان في سنى خلافته الأولى ، وعلي بن أبي طالب قبل التحكيم .

---

(١) انظر : الشماخي : كتاب السير ص ٧٠ «القاهرة ١٣٠١هـ» محمد علي ديوز تاريخ المغرب الكبير ج ٣ ص ١٣٨ - ١٤٩ «القاهرة ١٩٦٣م» والسيابي السمائلي : أصدق المناهج في تميز الأباضية من الخوارج ص ٥٩ .

(٢) انظر : أبو زكريا يحيى بن أبي بكر : السيرة وأخبار الأئمة ، ورقة ١٦ «محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ٩٠٣٠ج» ؛ وعلي يحيى معمر : الأباضية في موكب التاريخ ج ١ ص ١٤٩ «القاهرة ١٩٦٦م» .

وكان يحض تلاميذه على العمل على قيام الامامة العادلة المبنية على الأصول الصحيحة للاسلام . ويدلنا على شجاعة جابر بن زيد وإيمانه القوي أن دروسه ودعوته كانت في البصرة حيث كان يسيطر عليها وعلى شرقي العالم الاسلامي منذ سنة ٧٥هـ الحجاج بن يوسف الثقفي أيام حكم عبدالملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ) والوليد بن عبدالملك الأمويين (٨٦ ـ ٩٦هـ) . وكان أخطر أعداء الأمويين في العراق الشيعة والخوارج والأباضية ، وإن كان الأباضية لم يظهروا العنف والشدة كما فعل العلويون والخوارج ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي سلطانا في المشرق لا يعرف له سيدا غير الحاكم الأموي . وقد استخدم الحجاج كل أساليب القمع الشديدة مع الفرق المناوئة للحكم الأموي ، فالخلافة كانت المصدر الرئيسي للمنازعات والتفرقة بين المسلمين . وفي وسط هذا الجو المشحون بالارهاب والشدة ، استمر جابر بن زيد في دروسه وتعاليمه .

وقد انجذب إليه أفراد من أسرة المهلب بن أبي صفرة رجالا ونساء مثل هند بنت المهلب ، كما أعجب به ويعلمه يزيد بن مسلم كاتب الحجاج .

وفي فترة ما نفي الحجاج الامام أبا الشعثاء إلى وطنه عُمان ، وليس من شك في أن اتصال أهل عمان العلمي

بالبصرة ، فضلا عن اتصال أبنا العشائر والقبائل بعضهم ببعض ، كان من أكبر العوامل التي ساعدت على انتشار علم ومبادى جابر بن زيد بين مواطنيه العمانيين هذا بالاضافة الى حلوله بينهم فترة من الزمن حين نفاه الحجاج من البصرة إلى عُمان .

ولا نتبين من المصادر المختلفة متى نفى جابر بن زيد إلى عمان ولا متى عاد ، لكن الثابت أن أبا الشعثاء عاد الى البصرة مكملا لمذهبه الديني والسياسي ، محاولا القضاء على الملك المستبد الذي لا يستند على القرآن والسنة والاجماع . وقد توفى جابر بن زيد في البصرة في سنة ٩٣هـ ، أو في سنة ٩٦هـ ، أو في تاريخ بين هاتين السنتين بعد أن انتفع بعلمه الكثيرون الذين حملوا رسالته من بعده [١] .

٢ ـ أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة والأباضية بعد وفاة جابر بن زيد :

يعتبر بعض العلماء الأباضية المعاصرين في عمان أن الحلقة الأولى في سلسلة المذهب الأباضي ، الصحابي الجليل عبدالله بن العباس [٢] أستاذ جابر بن زيد .

أما الحلقة الثانية فهو أبو الشعثاء جابر بن زيد ، وأما

(١) أنظر : السيابي السمائلي : إزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء . ص ١٣ ـ ٣٢ وما جاء فيها من مراجع .
(٢) انظر : المرجع السابق ص ٣٣ .

الحلقة الثالثة فهو الامام أبو عبيدة مسلم بن ابي كريمة التابعي الذي اخذ اكثر ما اخذ من العلم والفقه عن جابر بن زيد ، كما روى عن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم مثل عائشة أم المؤمنين وأنس بن مالك وأبي هريرة وعبدالله بن العباس .

ولعل الأباضية الذين اعتبروا عبدالله بن العباس الحلقة الأولى في سلسلة المذهب الأباضي ، استندوا إلى أن جابر بن زيد أخذ الكثير من علمه ورواياته عن عبدالله بن العباس الذي أدرك النبي عليه الصلاة والسلام وسمع منه ، وسمعت الرواية عنه .

ولم يكن عبدالله بن العباس من كبار المحدثين فقط وانما كان من المفسرين ، فضلا عن أنه كان لغويا واخباريا اذ ينسب اليه تفسير كثير من الالفاظ اللغوية فضلا عن رواية كثير من أخبار الأمم القديمة السابقة للاسلام وكثير من أخبار الجاهلية .

اما دور عبدالله بن العباس في الحياة السياسية فالمعروف ان عبدالله بن العباس لعب دورا في الشؤون السياسية في الدولة الاسلامية وخاصة في الفتنة التي وقعت بين علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان ، إذ أنه كان في أول الامر مخلصا لعلي بن أبي طالب مؤيدا له ولكنه فتر لعلي آخر الامر .

وتوفى عبدالله بن العباس في مدينة الطائف أيام عبدالملك بن مروان وذلك في سنة ٦٨هـ .

والحق أنه حين وفاة الامام أبي الشعثاء كانت الدعوة

الأباضية قد بدأت تزدهر وتجذب إليها الكثير من القبائل وأهل الولايات الاسلامية ، وزاد في نجاحها ما لاقته دول العالم الاسلامي حينذاك من تعنت كثير من ولاة الامويين . وتكاتف العلماء العمانيون والبصريون الاباضية من تلاميذ أبي الشعثاء واصحابه في العمل على انتصار الحركة الاسلامية الاباضية . ونجح تلميذ ابي الشعثاء وزميله ، ابو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء ، البصري ، في حمل رسالة أبي الشعثاء الدينية والسياسية . وأخذ في تنظيم الحركة الاباضية التي انتصرت في عُمان ـ موطن أبي الشعثاء ـ وقامت الامامة فيها ، كما قامت في اليمن وحضرموت وفي شمال أفريقية [1] .

وقد قاسى أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة من سجن الحجاج هو وصديقه وزميله ضمام بن السائب الندبي العماني أحد رواة الحديث عن الامام جابر بن زيد ، ولكن ابا عبيدة لم يفزع من قسوة سجن الحجاج اذ واصل رسالته الدينية والعملية بعد خروجه من السجن ، وبرع أبو عبيدة مسلم في تنظيم الدعوة الاباضية ، واعتمد على «حملة العلم» أو «الدعاة الأباضية» الذين كانوا يقومون بالدعوة وخاصة في البلاد الواقعة في أطراف الدولة الاسلامية بعيدا عن مركز الدولة ، كذلك

(١) راجع عن أبي عبيدة مسلم : محمد علي دبوز : المغرب الكبير ج ٣ ص ١٥٠ ـ ١٥٣ ، السيابي السمائلي : إزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء . ص ٣٣ ـ ٣٩ ، الدكتور عوض خليفات نشأة الحركة الأباضية ص ١٠٣ ـ ١٢٦ (الأردن ـ عمّان ١٩٧٨م) .

اعتمد على التجار الأباضية الأغنياء في تمويل الدعوة ، فضلا عن سائر الأباضية رجالا ونساء .

واستغل أبو عبيدة في دعوته ظروف الدولة الاموية آنذاك . إذ كان سليمان بن عبدالملك (٩٦ ـ ٩٩هـ) على علاقة وثيقة مع اسرة المهلب بن أبي صفرة الذين كانوا يساندون أبا الشعثاء والحركة الاباضية . والحق ان علاقة الحجاج بن يوسف الثقفي العدائية مع أسرة المهلب كان لها أكبر الأثر في انضمام كثير من أفراد هذه الأسرة رجالا ونساء إلى الامام أبي الشعثاء . وليس من شك في أن الاباضية بدؤا يلتقطون أنفاسهم بعد وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي في ايام سليمان بن عبدالملك ، وازدادوا ارتياحا حين تولى عمر بن عبدالعزيز (٩٩ ـ ١٠١هـ) الخلافة .

والمعروف في التاريخ ان الخليفة عمر بن عبدالعزيز كان حريصا على توحيد صفوف المسلمين والتزام عدل الاسلام ، ولم يكد يتولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة حتى ارسل له الاباضية وفدا من علمائهم وهم جعفر بن السماك ، وأبو الحر علي بن الحصين العنبري ، والحتات بن الكاتب ، والحباب بن كليب ، وأبو سفيان قنبر البصري ، وسالم بن ذكوان . وتذكر بعض المصادر الأباضية ان عبدالملك ابن الخليفة عمر بن

عبدالعزيز كان أباضيا [1] .

وعلى أية حالة فإن أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة كان يراقب الأحوال في الدولة الأموية ليعلن الامامة الأباضية في الولايات البعيدة عن مركز الدولة . وتذكر المصادر التي بين أيدينا مثل أنساب الاشراف للبلاذري ، وتاريخ الطبري ، والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ، وطبقات الاباضية للدرجيني ، وكتاب السير للشماخي ، وكشف الغمة للازكوي ، أن الامامة الأباضية في حضرموت واليمن قامت على يد عبدالله بن يحيى الكندي المشهور بطالب الحق في سنة ١٢٩هـ (٧٤٦م) ، وذلك بعد أن أرسل طالب الحق إلى أبي عبيدة يخبره بظلم الولاة الامويين . وكان أن أمره ابو عبيدة بسرعة التحرك وخاصة أن الدولة الأموية كانت تحتضر ايام مروان بن محمد .

أما قائد طالب الحق فكان أبو حمزة الشاري المختار بن عوف الأزدي العماني الذي بعثه في موسم الحج من سنة ١٢٩هـ للاستيلاء على الحجاز . وفعلا نجح أبو حمزة مع جيشه من الاباضية في دخول مكة بدون قتال في العاشر من ذي الحجة سنة ١٢٩ هـ ، وتابعوا نصرهم بالاستيلاء على الطائف ثم

---

(١) انظر : الدرجيني : طبقات الاباضية . ورقة ٩٩ (مخطوطة في دار الكتب المصرية بالقاهرة . رقم ١٢٥٦ح ، ٧٢٦١٢ تاريخ تيمور) ، والشماخي كتاب السير ص ٧٩ ـ ٨٠ ، محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ١٧٥ ، ص ١٨١ـ١٨٢ الدكتور عوض خليفات : نشأة الحركة الأباضية ص ١٠٤ .

المدينة ، لكن مروان بن محمد أرسل جيشا من الشام بقيادة عبدالملك بن محمد بن عطية القيسي لقتال الأباضية وانتصر هذا الجيش على أباضية المدينة بعد أن قتل منهم عددا كبيرا ، ثم تابع الجيش مسيره إلى مكة واشتبك مع الأباضية في عام ١٣٠هـ في معركة ضارية قتل فيها ابو حمزة الشاري ، وأبو الحر علي بن الحصين فقيه الاباضية في مكة ، وكذلك قتل عدد غفير من الأباضية .

اما الباقون من الاباضية فقد اسرعوا للانضمام الى طالب الحق الذي سار من صنعاء للقاء قائد الجيش الشامي ، وبالقرب من مكة قتل الامام طالب مع عدد كبير من اتباعه في سنة ١٣٠هـ ، ثم قضى على إمامة حضرموت واليمن على يد الأمويين في أوائل سنة ١٣٢هـ ، وعاد من بقى من الأباضية هناك إلى مرحلة الكتمان .

أما فيما يتعلق بأباضية شمال أفريقية فإنه يبدو من المصادر المختلفة أن دعوة الخوارج اختلطت في البداية مع الدعوة الاباضية التي نشطت على يد أبي عبيدة مسلم وتلاميذه من حملة العلم . ويبدو ان دعاة الاباضية الذين حلوا في افريقية اختاروا اربعة رجال من شمال أفريقية ليتفقهوا في المذهب الأباضي على أيدي الفقهاء الاباضية في البصرة . وهؤلاء الاربعة هم أبو درار إسماعيل بن درار الغدامسي من غدامس جنوب طرابلس ، وعبدالرحمن بن رستم ، الفارسي الأصل ،

من القيروان ، وعاصم السدراتي من سدراته غربي اوراس ، وابو داود القبلي النفزاوي من نفزاوة جنوبي افريقية (تونس الحالية) . وانضم إلى هؤلاء الاربعة في البصرة أبو الخطاب المعافري وهو عربي من اليمن .

وظل هؤلاء يتلقون العلم في البصرة خمس سنوات على يدي ابي عبيدة ثم عادوا الى أفريقية في سنة ١٤٠هـ وسمى هؤلاء الخمسة في المصادر الأباضية «حملة العلم إلى المغرب» . وقد أمر الأمام أبو عبيدة أهل المغرب بتعيين أبي الخطاب المعافري إماما لهم وبتعيين إسماعيل بن درار الغدامسي قاضيا لهم ، وفي شمال افريقية بويع أبو الخطاب عبدالأعلى بن السمح المعافري بالامامة في سنة ١٤٠هـ . في صياد بالقرب من طرابلس . وامتدت دولة أبي الخطاب المعافري فشملت طرابلس والقيروان وغرب وهران ، ولكن أبا جعفر المنصور استطاع القضاء على هذه الدولة في سنة ١٤٤هـ[١] ، لكن قيام الدولة الرستمية على يد عبدالرحمن بن رستم كان أكبر انتصار للدعوة الأباضية في جميع الولايات الاسلامية عامة وفي شمال أفريقية خاصة . وكان الامام ابو الخطاب المعافري قد عين

---

(١) انظر : أبوزكريا بن أبي بكر : السيرة : ورقة ٧و٩ ، الدرجيني : طبقات الأباضية : ورقة ٨ ، ٢ ، الشماخي السير ص ١٢٤-١٢٦ ، محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ٤٣٢-٤٣٣ ، ج ٨ ص ٢٠٣-٢٤١ ، السيابي السمائلي : أصدق المناهج في تمييز الاباضية من الخوارج : ص ٤٤-٤٥ ، السيابي السمائلي : ازالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء ص ٣٦-٣٩ ، الدكتور عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية . ص ١٣٣-١٦٦ .

عبدالرحمن بن رستم قاضيا لطرابلس ، ثم عينه واليا على القيروان في سنة ١٤١هـ بعد أن نجح في احتلالها .

واستطاع ابن رستم ان يرد جيوش ولاة العباسين في شمال أفريقية بعد ان سانده البربر الأباضية . واتخذ عبدالرحمن بن رستم مدينةتاهرت مقرا له ولأتباعه منذ سنة ١٤٤هـ ، ثم أعلنت الامامة في تاهرت والدولة الرستمية منذ سنة ١٦٠هـ . وعاشت تلك الدولة الأباضيةحتى عام ٢٩٦هـ ، حين نجح أبو عبدالله الشيعي الداعي الفاطمي في القضاء عليها[1] .

وبعد فهذا مختصر وجيز عن فقه وعلم وعمل الامام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، التميمي بالولاء ، الذي كان زنجيا أسود اللون أعور فقيرا ، والذي كان يقتات بعمل السعف يصنع منه القفاف فلقب بالقفاف ، ولكنه كان سيد البيض بعلمه وعقله وفقهه . وكانت وفاته في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري . ويعتبر ابو عبيدة مسلم مرجع الاباضية بعد جابر بن زيد والحلقة الثالثة لسلسلة المذهب الأباضي والذي نجح بفضل تنظيماته وعلمه وشجاعته وبمساندة عُمان والبصرة وحضرموت واليمن وشمال أفريقية في إقامة الدول الأباضية

---

(١) فيما يختص بالدولة الرستمية انظر ما جاء عنها في تاريخ المغرب الكبيرج ٢ ، ٣ لمحمد علي دبوز ، والدكتور عوض خليفات نشأة الحركة الاباضية ص ١٦٤-١٦٨ ، زامباور : معجم الأنساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ج ١ ص ١٠٠-١٠١ (مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥١م) .

وفي نشر المذهب الأباضي في اصقاع مختلفة من العالم الاسلامي[1] .

٣ ـ الامام الربيع بن حبيب وحمله العلم إلى عُمان :

يستند الأباضية الآن في الفقه على مسند الربيع بن حبيب الأزدي الفراهيدي العماني البصري ، وكان الربيع من أهل الباطنة من عُمان ثم خرج إلى البصرة لطلب العلم ، وكانت البصرة آنذاك عمانية برجالها الأفاضل العلماء ، وكان الربيع شابا حين التقى بالامام جابر بن زيد ، وكان يقول : أخذت الفقه مع ثلاثة : «أبي عبيدة وابي نوح وضمام بن السائب الازدي العماني» . وقضى الربيع بن حبيب معظم حياته في البصرة طالبا ومطلوبا ثم عاد في اخريات حياته الى وطنه في عمان . وكانت وفاته في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري . وفي البصرة عكف الامام الربيع بن حبيب على كتابة مسنده . وترجع أهمية مسنده إلى ورع الامام الربيع وعلمه وفقهه ، فضلا عن أنه كان قريب الاسناد . ولا يغيب عن بالنا ان هذا الانجاز العلمي العظيم تم وسط جو الخوف والارهاب الذي كان يشيعه أمراء بني أمية امثال الحجاج بن يوسف

---

(١) انظر : محمد علي دبوز : المغرب الكبير ج ٣ ص ١٥٠ ـ ١٥٣ ، السيابي السمائلي : ازالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء . ص ٣٣ ـ ٣٩ .

الثقفي[1] وقد نشر «الجامع الصحيح» للربيع بن حبيب في القدس في سنة ١٣٨١هـ وفي دار الكتب المصرية بالقاهرة مخطوطة «مسند الربيع» للربيع بن حبيب تحت رقم ٢١٥٨٢ب . وقد رتب الجامع الصحيح أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلاني[2] من علماء أفريقية في القرن السادس الهجري .

ومن أهم من حمل العلم عن الامام الربيع بن حبيب من البصرة إلى عُمان خمسة علماء عمانيون كان لهم الفضل الأكبر في إزدهار الحياة العلمية في فجر الاسلام في عمان وهم أبو المنذر بشير بن المنذر النزواني ، ومنير بن النير الجعلاني ، وموسى بن أبي جابر الازكوي ، ومحبوب بن الرحيل ، ومحمد بن المعلا الكندي[3] .

٤ ـ الأباضية وعبدالله بن أباض :

لم ينتسب الاباضية إلى أي شخصية من فقهائهم قبل عبدالله بن أباض الذي عاصر معاوية بن أبي سفيان (٤٠-٦١هـ) مؤسس الدولة الأموية الأولى ، وعبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) مؤسس الدولة الأموية الثاني . وكان

---

(١) انظر السيابي السمائلي : أصدق المناهج في تمييز الأباضية من الخوارج ص ٢١ ، السيابي السمائلي : إزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء ص ٢٩ ، ٤٠-٤١ .

(٢) للورجلاني كتاب والبرهان طبعة حجرية المطبعة البارونية[3] اجزاء القاهرة ١٣٠٦هـ .

(٣) انظر : أبو هلال السيابي السمائلي : إزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء .

الأباضية قبل انتسابهم الى عبدالله بن أباض يصفون أنفسهم باسم «الجماعة المؤمنة المسلمة» أو «المسلمين» أو «جماعة المسلمين» أو «أهل الدعوة» . وقد أوردت المصادر المختلفة والمراجع الحديثة نسب عبدالله بن أباض واختلف بعضها في سلسلة النسب (١) . ولا نعرف سنة مولد عبدالله بن أباض ولا سنة وفاته ، وإنما المعروف أن عبدالله بن أباض ينتسب إلى قبيلة تميم التي كانت من أهم قبائل البصرة ، وكان عبدالله بن أباض في منعة وقوة من عشيرته بني تميم الذين يسميهم البعض باسم «الحجر الخشن» (٢) .

والمعروف ان عبدالله بن أباض عاصر الامام جابر بن زيد واخذ عنه ، كما أنه عاصر أحداث الدولة الأموية منذ معاوية بن ابي سفيان إلى عبدالملك بن مروان . وفي كتاب عبدالله بن أباض إلى عبدالملك بن مروان يتبين لنا شجاعته في الحق وقوته في المناظرة والمجادلة ، كما نعرف منه آراء هذه الجماعة المسلمة المؤمنة التي سميت فيما بعد باسم «الأباضية» ، وذلك فيما يتعلق بالتطورات الدينية والسياسية التي حدثت منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام حتى زمن عبدالملك بن مروان ، فضلا عن موقفهم من الخوارج . وقد

---

(١) من المراجع الحديثة التي أفاضت في ترجمة عبدالله بن أباض : خير الدين الزركلي ، الأعلام ج ٤ ص ١٨٤-١٨٥ .

(٢) على سبيل المثال : انظر : السيابي السمائلي : إزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء ص ٧٦ .

استطاع عبدالله بن أباض في كتابه لعبد الملك بن مروان أن يدحض القول بأن جماعته من الخوارج أو من متطرفي الخوارج [1] .

والمعروف أن اسم «الأباضية» اسم للتمييز وليس للتشريع ، إذ أن مؤسس المذهب والفكر الأباضي هو جابر بن زيد ، لكن عبدالله بن أباض هو الذي استطاع أن يدافع عن آراء جماعته علنا . ومع ذلك فقد اعتبرت بعض المصادر عبدالله بن أباض خارجيا ، واعتبره آخرون من غلاة الخوارج .

ومن مختلف المصادر والمراجع نعرف أن المذهب الأباضي من أول وأقدم المذاهب الاسلامية نشأة ، فإمامة جابر بن زيد ، ولم يكن عبدالله بن أباض من الشيوخ المؤسسين للمذهب كما أسلفنا لكن تسميتهم باسم الأباضية جاءت من مخالفيهم ، إذ سمي الامويون «الاباضية» بهذا الاسم وادخلوهم في فرق الخوارج من قبيل التجريح .

ولم يقبل الاباضية في بداية الامر تسميتهم بهذا الاسم ولكنهم قبلوه منذ خلافة عمر بن عبدالعزيز ٩٩-١٠١هـ [2]

---

(١) انظر كتاب عبدالله بن أباض إلى عبدالملك بن مروان ، أو نصائحه إلى عبدالملك كما تعرفها المصادر الاباضية في : البرادي : الجواهر المنتقاة ص ١٥٦-١٦٧ ، السيابي السمائلي : إزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء ص ٨٦ - ١٠١ (مع الشرح والتعليق) .

(٢) انظر : السيابي السمائلي : إزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء ص ٤٩-٥٠ ، محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ١٧٥ .

ويدأ اسم الاباضية يظهر في كتاباتهم بعد ذلك .

واذا كانت المصادر قد اختلفت حول شخصية عبدالله بن أباض ، فإنها اختلفت ايضا في اسمه ونسبته الصحيحة ، ذكر البعض أن الاباضية اصحاب اباض بن عمرو [1] .

أما فتح همزة «أباض» أو كسرها فيختلف فيها الأباضية أنفسهم . ففي عُمان ـ موطن أئمة وعلماء الأباضية ـ يفتحون الهمزة ، وبذلك تصبح النسبة إلى أباض «الأباضية» . وفي شمال أفريقية يكسرون الهمزة وتصبح النسبة إلى أباض «الاباضية» .

ونرى المقريزي [2] يذكر أن الأباضية هم أتباع (عبدالله بن أباض من بني مقاعس واسمه الحارث بن عمرو ، ويقال بل ينسبون إلى أباض بضم الهمزة ، وهي قرية بالعرض من اليمامة نزل بها نجد بن عامر» .

كذلك تذكر بعض المصادر مثل الشهرستاني [4] والمقريزي [3] أن خروج عبدالله بن أباض كان في زمن مروان بن محمد الأموي (١٢٧ـ١٣٢هـ) .

---

(١) الملطي الشافعي : كتاب التنبيه والرد . ص ٥٢ .

(٢) المقريزي : الخطط ج ٢ ص ٣٥٥ ، وانظر مادة «أباض» في ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦٧ (الطبعة الأولى ـ مطبعة السعادة ـ مصر ١٣٢٣هـ / ١٩٠٦م) .

(٣) الملل والنحل ص ٢٤٤ .

(٤) الخطط ج ٢ ص ٣٥٥ .

وتشير المصادر إلى إشتراك عبدالله بن أباض في أمور الدولة الاسلامية حين خرج هو وجميع فرق المحكمة للدفاع عن مكة مع عبدالله بن الزبير ضد جيش يزيد بن معاوية سنة ٦٣هـ ، ثم رجوعه إلى البصرة بعد أن أمنت مكة . ويتبين من رسالة ابن أباض الى عبدالملك بن مروان أنه أدرك معاوية بن ابي سفيان وأنه انكر عليه أشياء ذكرها في رسالته . لكن معظم المصادر لا تشير الى عبدالله بن اباض بعد عبدالملك بن مروان .

(ب) ـ قيام الامامة في عمان

ازدهرت عمان منذ فجر الاسلام بعلمائها الذين حرصوا على إقامة شعائر الاسلام وتطبيق الاسلام علما وعملا ، واختار الأباضية طوال تاريخهم طريق الاعتدال وبعدوا عن الغلو والتطرف ، وأكد فقهاؤ هم بالعلم والعمل أن مذهبهم هو الاسلام القائم على القرآن الكريم ، وعلى الاحاديث النبوية والسنة الشريفة وعلى الاجماع ، واتصلت عمان بالبصرة ـ منذ أن اختطها عمر بن الخطاب ـ اتصالا وثيقا .

وكانت البصرة مقرا للعلماء الأعلام من أهل عُمان حتى كادت البصرة أن تكون عُمانية كما مر بنا ، ومر بنا بعض من آراء الأئمة الأباضية فيما يتعلق بالتطورات السياسية والدينية

منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، واجماعهم على ضرورة اقامة الامامة القائمة على الاسلام الصحيح .

ويدأ الامام جابر بن زيد في وضع أسس المذهب والفكر الأباضي دينيا وسياسيا محاولا القضاء على الملك المستبد الذي لا يستند على القرآن والسنة والاجماع . وحين توفي جابر بن زيد حمل تلميذه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي البصري رسالته الدينية والسياسية . ومر بنا طرف من تنظيمه للحركة الاباضية التي انتصرت في عُمان ـ موطن الامام ابي الشعثاء جابر بن زيد ـ وتبع ذلك قيام الامامة فيها ، كما قامت الامامة في اليمن وحضرموت ، وفي شمال أفريقية .

والحق أن المذهب الاباضي في عمان ارتبط بكفاح عُمان من أجل استقلالها . وحاول العُمانيون الاستقلال عن الدولة الأموية ومن بعدها العباسية لأنهم رأوا أن حكام هاتين الدولتين بعدوا عن الاسلام الصحيح . وسبقت عمان بذلك بقية الدول الاسلامية التي استقلت بعد ذلك عن الخلافة الاسلامية استقلالا ذاتيا تاما لظروف واسباب مختلفة . وطبيعي ان الدولة الاموية ومن بعدها العباسية لم تقف متفرجة امام استقلال عمان وغيرها من دولة العالم الاسلامي شرقا وغربا ، بل كانت تحاول السيطرة على الدول المستقلة وإدخالها تحت حكمها كلما واتتها الفرصة المناسبة ، والمعروف أن أمر عمان صار بيد اهلها

بعد افتراق الصحابة وانتهاء حكم الخلفاء الراشدين ، ولم يكن لمعاوية ولا لمن أتى بعده سلطان في عمان حتى صار الملك لعبدالملك بن مروان واستعمل الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق [1] . وجاهد الحجاج لاستعادة عمان وإدخالها تحت حكم الدولة الأموية ، وكان ذلك إبان حكم سليمان وسعيد ابني عباد بن عبد الجلندي .

وكلما أرسل إليها الحجاج جيشا هزماه ، وجاهد الحجاج لاستعادة عمان عن طريق البر والبحر الى أن نجح في النهاية بعد أن تكبدت جيوشه الخسائر الفادحة . أما سليمان وسعيد فلم يقبلا الهزيمة بعد كفاحها المرير في سبيل استقلال عُمان وبعد أن نجحا قبل ذلك في رد جيوش الحجاج المتعاقبة ، ولذلك آثرا الخروج مع ذراريهما ومن لحق بهما من قومهما الى بلد من بلدان الزنج في أفريقية [2] .

ولكن الملاحظ انه بعد وفاة الوليد بن عبدالملك والحجاج بن يوسف بدأت قبضة الأمويين تخف عن عُمان وبدأ العمانيون يمارسون استقلالهم الداخلي . اذ ولى سليمان بن عبدالملك (٩٦-٩٩هـ) يزيد بن المهلب على العراق وخراسان ، واستعمل يزيد اخاه زيادا على عُمان ، وبذلك اصبح أمر عُمان في حقيقة الامر بيد ابنائها . وفي خلافة

(١) انظر : السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ٥٧ .

(٢) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٥٧ - ٥٩ .

عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ) ولى عامل العراق، عدي بن أرطاة الفزاري، على عُمان عمالا لم يقبلهم العمانيون وكتبوا بذلك الى عمر بن عبدالعزيز فاستعمل عليهم عمر بن عبدالله الأنصاري.

وكان عمر بن عبدالله حسن السيرة في عُمان، فضلا عن أنه ترك مقاليد الأمور بيد العمانيين، وحين توفى عمر بن عبدالعزيز، خرج واليها عمر بن عبدالله الانصاري من عمان وسلم مقاليد الامور لزياد بن المهلب بعد أن قال له: «هذه البلاد بلاد قومك فشأنك بها»[1].

وهكذا ظلت عمان في أيدي أبنائها طوال الحكم الاموي باستثناء الفترة التي ولى فيها الحجاج بن يوسف العراق والتي ادخل فيها عُمان تحت حكم الأمويين بعد أن تكبدت جيوشه الخسائر الفادحة.

وحين قامت الدولة العباسية، ولى ابو العباس السفاح أخاه أبا جعفر المنصور على العراق: فأرسل ابو جعفر جناح بن عباد بن قيس بن عمرو الهنائي واليا على عُمان، وهو صاحب المسجد المعروف بمسجد جناح في صحار. لكن المنصور ما لبث أن عزله وولى ابنه محمد بن جناح.

وقد ترك هذا الوالي مقاليد الأمور بيد العمانيين حتى

---

(١) السالمي: تحفة الاعيان ج ١ ص ٥٩.

صارت عمان لهم ، وعند ذلك عقدوا الامامة للجلندي بن مسعود بن جيفر بن جلندي وكان ذلك كما يقول العمانيون : «سببا لظهور الاسلام وقوة شوكته»[1] ولم يكن الجلندي بن مسعود بعيدا عن الاحداث الجارية حينذاك فقد كان ممن حضر بيعة عبدالله بن يحيى طالب الحق . واذا كان الجلندي قد ولي الامامة سنة ١٣١هـ كما تذكر بعض الروايات فيكون معنى ذلك ان إمامته كانت في نهاية الدولة الاموية وقبيل قيام العباسيين . أما اذا كانت بداية إمامته في سنة ١٣٢هـ كما قيل في روايات أخرى فتكون إمامته بعد قيام الدولة العباسية . لكن العباسيين جاهدوا لاستعادة عمان ووقعت حروب ضارية بين الجيوش العباسية وعلى رأسها خازم بن خزيمة الخراساني ، وبين الامام الجلندي بن مسعود وجيوشه ، وجاءت النهاية باستشهاد الجلندي واصحابه في سنة ١٣٣هـ أو سنة ١٣٤هـ .

وعاصر إمامة الجلندي عدد كبير من علماء وفقهاء الأباضية مثل الربيع بن حبيب وشبيب بن عطية العماني ، وموسى بن أبي جابر الازكوي (الأزكاني) ، وبشير بن المنذر النزواني ، ومنير بن النير الجعلاني . وكان الجلندي من أفضل أئمة المسلمين في عُمان فأظهر الحق وعمل به «وأخذ الدولة من يد أهل الجور وبرىء من الجبابرة» .

---

(١) السالمي : تحفة الأعيان : ج ١ ص ٦٦ .

ويذكر المؤرخون العمانيون أن عُمان بقيت بعد استشهاده حوالي أربعة وأربعين سنة «في يد الجبابرة من بني الجلندي منقادين لأمر بني العباس الى سنة ١٧٧هـ ثم رجعت الدولة للمسلمين»[١] . وفي سنة ١٧٧هـ اتفق العلماء والفقهاء الأباضية وعلى رأسهم موسى بن أبي جابر الازكوي ، على إعلان إمامة محمد بن عبدالله بن أبي عفان ، وكان من اليحمد إلا أنه نشأ في العراق ، لكن محمد بن أبي عفان أساء السيرة فاعتبره العمانيون جبارا وعزلوه في النصف من ذي القعدة من سنة ١٧٩هـ بعد أن حكم سنتين وشهرا ، واتفق المسلمون في عمان على اعلان امامة الوارث بن كعب الخروصي وهو أول إمام من بني خروص وهم من اليحمد[٢] وحاول العباسيون استرجاع عُمان فأرسل هارون الرشيد جيشا بقيادة عيسى بن جعفر بن المنصور ـ أخو السيدة زبيدة ـ لهذا الغرض ولكن الجيش العباسي هزم شر هزيمة وقتل عيسى بن جعفر .

وظلت إمامة الوارث بن كعب اكثر من أثنتى عشرة سنة . وحين توفى سنة ١٩٢هـ بايع أهل عُمان غسان بن عبدالله اليحمدي بالامامة . وكان مقر الامامة في نزوى التي سميت أيام إمامة غسان بن عبدالله «بيضة الاسلام» وكانت

---

(١) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٨٥ ـ ٨٦ .

(٢) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٧٤ .

قبل ذلك تسمى «تخت ملك العرب»[1] وكانت امامة غسان خمس عشرة سنة وبضعة أشهر ، ولم توفى بويع بالامامة عبدالملك بن حميد في سنة ٢٠٧هـ على قول أو في سنة ٢٠٨هـ على قول آخر ، وعبدالملك بن حميد من بني علي بن سودة بن علي بن عمرو بن عامر ماء السماء الازدي .

وهكذا توالى حكم الأئمة في عُمان في الاسلام . وكان هناك (بيت للمشورة) يجتمع فيه أولو العلم والرأي فيمن يقدمونه إماما . واخذت عُمان تتقدم وتزدهر في فجر الاسلام وخاصة في عهد الأئمة الصالحين ، وبعد أن أمنت استقلالها . وأصبحت عُمان خير دار في الاسلام ، وكان للاباضية في عمان اثر كبير في استقلالها وازدهارها ، الا فيما ندر ، بل إن حكم العثمانيين في العصر الحديث لم يمتد إليها كما امتد إلى غيرها في الأقطار العربية الاسلامية . وساعد ذلك الازدهار والاستقلال على أن تقوم عُمان بدور مهم رئيسي في العالم العربي الاسلامي الحديث بعد أن صارت أكبر دولة بحرية في تاريخنا العربي الحديث .



(١) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٩٤ .

المرأة المسلمة في عُمان

لا تسعفنا المصادر التي تحت أيدينا بالحديث عن المرأة العمانية المسلمة . ولكننا نعلم كيف أن الاسلام اهتم بالمرأة والأسرة اهتماما كبيرا . وأصبح للمرأة المسلمة مركز ممتاز لم ترق إليه المرأة الغربية إلا في العصر الحديث . بل أن المرأة في بعض المجتمعات الغربية لم تصل للآن إلى الحقوق التي منحها الاسلام للمرأة .

وفي بعض المجتمعات الاسلامية ، نرى المجتمع وليس الدين يسلب المرأة حقوقها أو بعضها ، لكن في مجتمع حرص على تطبيق الشريعة الاسلامية تطبيقا دقيقا لا بد وأن للمرأة فيه مركزا ممتازا .

وقد ورد في بعض الروايات أن نسوة من نساء أهل عمان أستاذن على السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ فأذنت لهن ، فدخلن عليها وسلمن عليها . ثم قالت من أنتن ؟ ، فقلن : من أهل عمان ، فقالت لهن ، لقد سمعت حبيبي عليه السلام

يقول ليكثرن وارد حوضى من أهل عُمان[1] .

وقد لاحظنا أن تاريخ عمان الاسلامي ملىء بوصايا الأئمة لعمالهم وصايا طويلة مفيدة تحث على اتباع القرآن والسنة وآثار أئمة الهدى ، فضلا عن وصايا علماء وفقهاء الدين لملوكهم وحكامهم . ولم تغفل كثير من تلك الوصايا والنصائح الحث على العناية بالنساء والنظر في أمورهن والذب عنهن . وكان يشار إلى الحاكم الفاسق بأنه لا يذب عن الحريم .

والحق ان النساء في عُمان تمتعن بحقوقهن التي منحها الاسلام للمرأة . وهذا ليس بغريب في مجتمع قام على أسس الاسلام الصحيحة . وقد أدرك الغربيون من الرحالة وغيرهم في العصر الحديث أن المرأة في عُمان تتميز عن أختها في سائر الاقطار العربية الاسلامية التي سلبت المرأة حريتها وحقوقها أو انتقصت منها . إذ شاركت المرأة العمانية في نشاط المجتمع وفي النواحي السياسية ، بل إنه كان من نساء الأسر الحاكمة في العصر الحديث من يقمن بالوصاية على الحكم[2] .



---

(١) السالمي : تحفة الأعيان في أهل عُمان ج ١ ص ٦ .

(٢) Boehm (Sir Edgar Collins). The Persian Gulf and South Sea Isles p., (London 1904)

أهل الذمة في عُمـان

بعد أن دخلت عُمان في الاسلام لا تسمع عن الوثنية أو المجوسية فيها ، ولكن بقى فيها بعض المسيحيين واليهود ، واصبح هؤلاء بحكم معيشتهم في بلد إسلامي «أهل ذمة» .

والذمة في اللغة العربية هي العهد والأمان ، والمنتفعون بالعهد أو الأمان يسمون الذميين أو أهل الذمة ، وفي حياة الرسول ﷺ كان هناك أهل ذمة من عرب شبه الجزيرة مثل أهل نجران ، ومثل قبائل بكر وتغلب ، وأهل دومة الجندل ، وأهل أيلة ، والغساسنة والمناذرة . وكان هؤلاء العرب الذميون أو المعاهدون يتمتعون بقسط وافر من التسامح الديني كما تشهد بذلك احاديث الرسـول عليه الصـلاة والسلام ، لأهـل الذمة(١) .

وحين أرسل الرسول ﷺ أبا زيد وعمرو بن العاص إلى

---

(١) انظر : أبو يوسف : كتاب الخراج ص ٨٦ و١٤٩ (القاهرة ١٣٤٦هـ) وابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٢٣ ، ٥٥ ـ ٥٦ (القاهرة ١٣٥٨هـ) ، وابن هشام : سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ج ٢ ص ٣٣٨ (القاهرة ١٣٤٦هـ) .

عُمان طلب منها أخذ الصدقة من المسلمين والجزية من المجوس[1] . وجاء ذكر أهل الذمة في مناسبات مختلفة في تاريخ عُمان فيذكر البلاذري [2] «ولم تزل عمان مستقيمة الأمر يؤدي أهلها صدقات أموالها ويؤخذ ممن بها من الذمة جزيـة رءوسهم» .

وقد وعى أهل عمان وحكامها معنى الجزية وجباية الصدقات اذ جاء في السير العمانية التأكيد على أن جباية الجزية تستتبع الحماية ، ومن ذلك النص الآتي : «وفي آثار أسلافنا أنهم قالوا : ولا نجبي جزية ولا صدقة حتى نكون على الناس حكاما ، ولا نبعث جباتنا يجبون أرضا لم نحمها ، ولم يجز فيها حكمنا ، ولا نمنع من جبينا من الظلم والعدوان» [3] .

والحق أن ارتباط الجزية بالحماية عرف منذ أن فرضت الجزية على أهل الذمة ، ومن ذلك مثلا ما جاء عن خالد بن الوليد في المعاهدة التي أبرمها مع بعض أهالي القرى المجاورة للحيرة «فإن منعناكم فلنا الجزية والا فلا» [4] .

كذلك جاء في وصية أحد ائمة عُمان في القرن الثالث الهجري وهو الصلت بن مالك الخروصي (٢٣٧ ـ ٢٧٢هـ)

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٨٦ ، والطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٠٣ .
(٢) فتوح البلدان ص ٨٤ .
(٣) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ٢١٩ .
(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٢٠٥٠ (طبعة ليدن) .

لأحد ولاته ، ما يتعلق بجزية أهل الذمة وحسن معاملتهم ومن يعفى منها فذكر «وليس على الصبيان والشيخ الفاني ولا على الفقراء ولا على الزمناء ولا على النساء ولا على العبيد ولا الاماء شيء»[١] .

وكان يحق للامام إذا خان «أهل الذمة» العهد أن يحاربهم وأن يردعهم حتى ينتصر عليهم وحتى لا تكون فتنة . وكانت تحدث أحيانا بعض المشاغبات من أهل الذمة شأنهم في ذلك شأن الأقليات في البلاد المختلفة . ونسمع في زمن الامام الصلت بن مالك الخروصي أن النصارى خانت العهد ونقضوا ما بينهم وبين المسلمين وهجموا على سقطرى[٢] وقتلوا والي الامام ومن معه وسلبوا ونهبوا . فأرسلت امرأة من سقطرى بقصيدة إلى الامام تذكر له ما وقع من النصارى بسقطرى وتستنصره ، فاستجاب الامام وأرسل الجيوش والمراكب إلى سقطرى وعادوا ظافرين بعد أن نصرهم الله على أهل الفتنة[٣] .

كذلك نسمع عن اليهود منذ فجر الاسلام في عُمان وخاصة في صحار[٤] وظل معظم اليهود في عُمان الى العصر

---

(١) السالمي : تحفة الاعيان ص ١٤٩ .
(٢) سقطرى : جزيرة في جنوب عُمان يفصل بينها بحر العرب .
(٣) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٢٧ - ١٤٢ .
(٤) السالمي : تحفة الأعيان ج ١ ص ١٠٣ - ١٠٤ .

الحديث يعيشون في ميناء صحار .

ويطلق الأهالي العمانيون عليهم اسم «أبناء سارة» ولاحظ الرحالة الأوروبيون في العصر الحديث أن اليهود في عُمان يتمتعون بالحرية الشخصية والدينية على عكس اليهود في اليمن أو في إيران[١] .



(١) Wellested (J.R) : Travels in Arabia. vol. t pp.11—22(London. Two vols. 1838).

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة

الفهـــرس

الموضـــوع | الصفحة

رقم الايداع
٨٨/٥٣٠

طبع بمطابع
دار جريدة عُمان
للصحـــافة والنشـــر